

روايات همزة الحبيب

رجل المستحيل

عمالقة الجبال

117

Looloo

www.dvd4arab.com

د. سيد فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

ت. ٥٩٠٨١٥٥ - ٢٨٣٥٥٥١ - ٢٨٧٦١٩٧

فاكس: ٢٨٧٧٠٠٢

١ - الخضر ..

انطلق رنين الهاتف الخاص بغثة ، فى حجرة نوم
(برونو باتياس) ، رئيس شرطة (سوكرية) ،
عاصمة (بوليفيا) ، فى تلك الساعة المتأخرة من
الليل ، فهبت زوجته من فراشها ، هاتفة فى ارتياح :
- (برونو) .. إنه ذلك الهاتف الأحمر .

وثب (باتياس) من الفراش ، وجسده كله يرتجف
فى عنف ، من فرط التوتر والانفعال ، فقد كان يدرك
جيدًا أن هذا الهاتف الخاص لا يتم استخدامه ، إلا فى
حالات الطوارئ القصوى ، مما جعله يختطف سماعته
فى سرعة ، هاتفًا :

- رئيس الشرطة .. من المتحدث؟!!

أتاه صوت (فيليب نواريه) ، محافظ العاصمة ،
وهو يقول فى توتر واضح ، يشف عن أهمية وخطورة
الموقف :

- إنه أنا يا (باتياس) .. استمع إلى جيدًا ، واعمل
على تنفيذ ما سأمرك به ، بأقصى سرعة ممكنة .

رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز
إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة
نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛
هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو
يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى
قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة
وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة
لست لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات
التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات،
وحتى الفواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.
لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل
واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن
(أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن
جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات
العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

انقبضت أصابع رئيس الشرطة في قوة ، على سماعة الهاتف ، وهو يقول :

- كلى آذان مصغية يا سيدي .

قال المحافظ في سرعة :

- هناك إرهابي خطير للغاية ، في طريقه إلينا .

التقى حاجبا رئيس الشرطة في شدة ، وشفته

تغمغان :

- إرهابي !؟

أجاب المحافظ ، في شيء من العصبية :

- نعم يا (بانياس) .. إرهابي بالغ الخطورة ،

سبب للبرازيليين مشكلات عنيفة في (ريودي جانيرو) ،

ثم فر من هناك ، دون أن يظفروا به ، ولدى

معلومات مؤكدة للغاية ، أنه في طريقه إلى هنا ، مع

فريق من رجاله .

سأله رئيس الشرطة في تحفز :

- متى وأين يا سيدي المحافظ !؟

صمت المحافظ بضع لحظات ، وكأنما باغته السؤال ،

ثم لم يلبث أن قال في عصبية زائدة :

- لم تصلني تلك المعلومات بعد .

ثم استدرك في سرعة :

- ولكنني في انتظارها .

أشارت زوجة رئيس الشرطة لزوجها ، محاولة

الاستفسار عما يحدث ، إلا أنه استوقفها بإشارة صارمة ،

وهو يسأل المحافظ :

- وما الذي ينبغي علي فعله يا سيدي !؟

أجاب المحافظ في حدة :

- ما تفعله في مثل هذه الظروف يا رئيس الشرطة .

صمت رئيس الشرطة لحظة ، ثم سأل في حزم :

- ألدنا صورة لهذا الإرهابي يا سيدي !؟

أجاب المحافظ في سرعة :

- بالطبع .. سأرسل صورته فوراً ، مع صور بعض

معاونيه ، عبر جهاز الكمبيوتر إلى مكتبك ، وستجدها

عندما تصل إلى هناك .

ثم استطرد في صرامة :

- إنك ستذهب إلى هناك على الفور .. أليس كذلك !؟

شد رئيس الشرطة قامته ، وأجاب في حزم :

- بالطبع يا سيدي المحافظ .. بالطبع .

أنهى المحادثة ، وبدأ في ارتداء ثيابه في سرعة ،

فسألته زوجته في قلق :

- ماذا هناك ؟!

انفجرت شفتاه لحظة ، وكأنه يهم بإجابته ، إلا أنه تراجع في سرعة ، والتقى حاجباه على نحو ضاعف من قلقها ، قبل أن يجيب في عصبية :

- لست أدري .. حقا لست أدري ؟!

قالت في دهشة قلقة :

- لست تدري ؟! وكيف هذا ؟! ألم يتحدث إليك

المحافظ بنفسه ؟!

تضاعف توتره ، وهو يتوقف عن ارتداء ثيابه ،

ويشرد ببصره ، مجيباً :

- هل تعلمين ؟! إنني أشعر بأن المحافظ نفسه ليست

لديه فكرة كاملة عن الأمر !

هتفت :

- ماذا تقول يا رجل ؟! إنه المحافظ .

أوما برأسه ليوافقها على قولها ، وواصل ارتداء

ثيابه ، قائلاً :

- نعم .. إنه المحافظ ، ولكنها المرة الأولى ، التي

يتصل فيها بنفسه ، بشأن أمر كهذا ، ثم إنه يتحدث

بلهجة من تلقى أمراً صارماً ، ويحاول تنفيذه بأقصى

سرعة قبل حتى أن يستوعبه جيداً .

وزفر في حرارة ، وهو يعقد رباط عنقه ،
مستطرداً :

- وهذا ما يقلقتني في الواقع .

نطقها رئيس الشرطة ، دون أن يدرك أن هذه
النقطة ستكون آخر ما يمكن أن يقلقه ، عندما تبدأ
المواجهة فعلياً ..

بل ولم يكن يدرك أنه يواجه أخطر عملية في
تاريخه كله ..

عملية بدأت ، عندما راحت السنيورا ، زعيمة
منظمة (الأفعى) للجاسوسية الحرة ، تعدّ أضخم
مشروع إجرامى عرفه التاريخ ..

إنتاج قنابل ذرية خاصة ، لتهديد أمن وسلامة
العالم ..

ثم السيطرة عليه ..

تماماً ..

وفي سبيل هذا المشروع النووى المخيف ، اختطف
رجالها عدداً من أبرز العلماء المعروفين ، فى هذا
المضمار ، بعد أن بنت مفاعلاً نووياً خاصاً ، فى قلب
جبال (بوليفيا) ، ونجحت فى إحضار كل المواد

المطلوبة ، مثل (البلوتونيوم ٢٣٩) ، والماء الثقيل ،
وغيرها ، من كل أنحاء العالم ، بوسائل عنيفة غير
مشروعة ، بتمويل من أربعة من عمالقة الاقتصاد
العالميين ..

ولكن (أدهم صبرى) ظهر فى الصورة ..
بل اقتحمها اقتحاماً ، لينقذ البروفيسير الألمانى
(مارك ماتهايم) ، خبير الهندسة النووية ، من قبضة
رجالها ، ويمنعها من استكمال المشروع الرهيب ..
وجن جنون السنيورا ..

جن جنونها ، لأن (أدهم) قد برز فى الموقف ..
فقد كان هذا ، بالنسبة لها ، مرادفاً للفشل ..
فشلها ..

لذا ، فقد أطلقت كل رجالها خلفه ..
وبمنتهى العنف ..

وكانت الحرب شرسة ضروساً ..
وخاصة عندما حاول (أدهم) الفرار بالبروفيسير
(ماتهايم) ، عبر أخطر ممر جبلى فى العالم .
(كوهيدور بيليجرو) ..

ومع المحاولة ، كان على (أدهم) و (جيهان)
أن يواجهوا أخطر وأعنف خصم فى الكون ..

الطبيعة ..

عاصفة عاتية هبت على (ريو دى جاتيرو) ، فى
تلك الليلة بالذات ، وبلغت سرعتها ما يزيد على ألف
كيلومتر فى الساعة ، داخل الممر ..

وكانت مرحلة رهيبية من الصراع ..
مرحلة انتهت بنجاة الثلاثة بمعجزة ، من الرياح
القاتلة ..

ولكن هذا لم يكن يعنى أن القضية قد انتهت ..
ففور انتهاء العاصفة ، انقضَّ عليهم رجال السنيورا ،
بقيادة رجل المختبرات السوفيتى السابق (يورى
أندروفيتشى) ..

وبدأت جولة جديدة من الحرب الطاحنة ، فى قلب
الممر ..

ممر الجحيم ..
جولة انتهت بمقتل البروفيسير ، وبإصابة (جيهان)
إصابة قاتلة ، وسقوطها مع (أدهم) فى قبضة
مقاتلى إحدى القبائل البدائية ، فى غابات وأدغال
(البرازيل) ، فى يوم يطلق عليه اسم (عيد كل
الموتى) ..

يوم تنص فيه العقيدة الوثنية لأولئك البدائيين ،
على حتمية قتل كل غريب يطأ أرضهم فيه ، بلا
هوادة ..

وبلا رحمة ..

ولكن شاءت الظروف أن يصل (أدهم) حاملاً
(جيهان) الفاقدة الوعي ، التي تكاد تلفظ أنفاسها
الأخيرة ، إلى أولئك البدائيين ، غير واحدة من مقابر
مقاتليهم القدامى .

وكان هذا كفيلاً بأن تنقلب الأمور كلها رأساً على
عقب ..

وأن يتحوّل (أدهم) ، والحال هكذا ، من فريسة
إلى منقذ أسطوري ، طال انتظار هؤلاء الوثنيين
لظهوره ..

وببعض العقاقير البدائية ، وعلى نحو مدهش
للغاية ، أعاد أولئك القوم لـ (أدهم) كل حيويته
ونشاطه ، وعالجوا إصاباته السابقة ، وإصابات
(جيهان) ، وحتى إصابات (قدرى) و (منى) ،
الذين طارا من (القاهرة) إلى (ريو دي جانيرو) ،
لمعاونة (أدهم) في صراعه العنيف ..

وكان على رجال السنيورا أن يواجهوا ذلك التحوّل
المدهش ، في قلب المهرجان السنوي الشهير للمدينة ،
والذي تحوّل مع المواجهة إلى مهرجان آخر .

مهرجان الموت ..

والعنف ..

وفي أثناء كل هذا ، انطلقت السنيورا تواصل
مشروعها النووي ، واستعانت بديل للبروفيسير
الألماني ، وراحت تستعد لإنتاج قنبلتها الذرية الأولى ،
التي تقرّر تفجيرها في صحراء (أريزونا) ، لإعلان
بدء المرحلة الأولى من خطة السيطرة العالمية ..

وقاتل (أدهم) بكل قوته ومهاراته ، في محاولة
لتحديد الموقع الحقيقي للسنيورا ..
ولم يكن هذا سهلاً أبداً ..

لقد سالت الدماء أنهاراً ، حتى حصل على معلومة
واحدة ..

أنها هناك ، في (بوليفيا) ..

في مكان ما هناك ..

وبعد مطاردة عنيفة ، وقتل رهيب ، مع رجال
السنيورا ، ومفتش الشرطة المرتشى (أورتيجا) ،

نجح (أدهم) فى بلوغ الطائرة ، التى ينتظره فيها
رفاقه ، لتنتقل بهم إلى (بوليفيا) ..
وكان الاشتباك الأخير مع رجال دورية المطارات
الخاصة ..

وعلى الرغم من أن ذلك الاشتباك قد انتهى
بنجاحهم فى التقاطه ، والإقلاع بالطائرة الخاصة
الصغيرة ، إلا أن هذا لم يكن يعنى انتصارهم فى
المعركة .

لقد أدركت السنيورا أنهم فى طريقهم إليها ،
واستعدت لمواجهتهم فى (بوليفيا) ..

بكل قوتها ..

وعنفها ..

ونفوذها ..

وشراستها ..

وفى الوقت ذاته ، أبلغ رجال الدورية القوات
الجوية البرازيلية ، بوجود طائرة خاصة تحاول الفرار
إلى (بوليفيا) ..

وعلى الفور ، انطلقت مقاتلتان حربيتان برازيليتان
خلف الطائرة ، فى قلب الليل ..

وكانت المواجهة ..

مواجهة بين الطائرة الصغيرة ، التى تحمل (أدهم)
ورفاقه ، ومقاتلتين حربيتين ، تحملان أمرًا واحدًا
محدودًا ..

أن تطلقا نيرانهما وصواريخهما نحو الطائرة
الصغيرة فور رؤيتها ..
وبلا إنذار (*) ..

★ ★ ★

لم يكد رنين الهاتف الخاص للسنيورا ينطلق ،
حتى اختطفته فى لهفة ، قائلة :
- من المتحدث؟! .

أناها صوت (دونيو) ، رجلها فى (ريو دى
جانيرو) ، وهو يقول فى لهجة واثقة :

- إنه أنا يا سنيورا .. تم تنفيذ كل أوامرك .

تألقت عيناها ، وهى تقول :

- حقًا؟! هل تخلصت منهم جميعًا يا (دونيو)؟! .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء السابقة (رياح الخطر) ،
(ممر الجحيم) ، و(بلا رحمة) ، و(مهرجان الموت) .. المغامرات
أرقام (١١٣) ، (١١٤) ، (١١٥) ، (١١٦) .

أجابها في سرعة :

- جميعهم يا سنيورا .. حتى ذلك الروسي .

تسللت إلى صوتها نبرة متوترة ، مع سؤالها :

- وماذا عنه ؟!

قال (دونيو) ، وقد اهتزت الثقة في صوته :

- أتقصد ذلك المصري يا سنيورا ؟!

أجابته في عصبية :

- ومن أقصد سواه أيها الغبي ؟!

ازدد لعابه في صعوبة ، وانهارت ثقته كلها ، وهو

يقول :

- لقد عاد إلى الفندق ، بعد مصرع الجميع ،

واشتبك مع المفتش (أورتيجا) ورجاله ، ولكنهم

عجزوا عن الإيقاع به ، وانطلقوا يطاردونه عبر

شوارع المدينة ، على الرغم من المهرجان وزحامه .

سألته في انفعال .

- وما الذي انتهى إليه الأمر ؟!

صمت لحظة ، ثم أجاب في شيء من الحذر :

- أعتقد أنه من الأفضل أن يخبرك المفتش

(أورتيجا) بنفسه يا سنيورا .

تلاقى حاجباها في شدة ، وهي تقول :

- المفتش (أورتيجا) ؟! هل تتحدث إلي وهو إلى

جوارك أيها الغبي ؟!

صاح في هلع :

- مطلقاً يا سنيورا .. مطلقاً .. إنه يجلس في الحجرة

المجاورة ، ويصر على التحدث إليك بنفسه .. يبدو

أن لديه أمراً خطيراً بالفعل .

أمر خطير ؟! ..

ترددت العبارة في ذهنها ، حاملة صورة واحدة ..

صورة (أدهم صبرى) ..

لا ريب في أن ذلك الأمر الخطير ، الذي يحمله

(أورتيجا) ، يتعلق حتماً بـ (أدهم) ..

لذا ، فقد أجابت في عصبية :

- فليكن يا (دونيو) .. صلني به ، عبر هاتفك

المحمول ، وأنه المحادثة بعد دقائق ثلاث ، مهما كان

الأمر .. هل تفهم ؟!

أجابها بسرعة :

- نعم .. أفهم يا سنيورا .. أفهم بكل تأكيد .

لم تمض ثوان معدودة ، بعد قوله هذا ، حتى أتاها

صوت (أورتيجا) ، وهو يهتف في انفعال غامر :
إنه أنا يا سنيورا .. (أورتيجا) .. خادمك المخلص
الأمين .. إل ..

قاطعته في حدة :

- هات ما لديك على الفور يا رجل .

التقط (أورتيجا) أنفاسه في توتر ، وقال :

- الواقع يا سنيورا أن ذلك المصري استطاع اللحاق
برفاقه ، في أحد المطارات الخاصة ، حيث أقلعوا
جميعاً بطائرة مروحية من طراز (يو - آر - ٣٣) ،
في طريقهم إلى (سوكرية) في (بوليفيا) .

هتفت في انفعال غامر :

- إلى (سوكرية) !؟

قال في توتر شديد :

- نعم يا سنيورا .. لقد ألقوا الطيار خارج الطائرة ،
واعترف لنا بكل شيء .. ولكن اطمئني يا سنيورا ..
لن يمكنهم بلوغ غايتهم قط .

سألته في عصبية :

- ومن أين أتيت بكل هذه الثقة يا رجل !؟

أجاب في سرعة :

- لقد أبلغنا القوات الجوية بأمرهم يا سنيورا ،

وستنقض عليهم مقاتلتان من طراز (إف - ١٥) ،
مع أوامر مشددة بإطلاق النار مباشرة ، دون حتى
توجيه الإنذار التقليدي .

ازداد التقاء حاجبيها ، دون أن تتبس ببنت شفة ،
وهي تحاول استيعاب الموقف وتخيله ..

طائرة تضم (أدهم) ورفاقه ، في سماء (ريو دي
جانيرو) ، ومقاتلتان من طراز (إف - ١٥) تنقضان
عليها ، و ..

« إبني خادمك المخلص يا سنيورا .. »

قاطعها (أورتيجا) بعبارته المتزلفة ، فقالت في
عصبية :

- أريد تأكيداً بمصرعهم يا (أورتيجا) .

هتف :

- أنا رهن إشارتك يا سنيورا .

ثم انخفض صوته بغتة ، وهو يتابع :

- ولكن ..

قالت في حدة :

- ولكن ماذا يا (أورتيجا) !؟

ارتبك في شدة ، وهو يجيب :

- هناك شريط ما .. شريط فيديو ، سجل عليه ذلك

الرجل ما يديننى ، ولو تم تسليم ذلك الشريط لرؤسائى ،
سيكون فى هذا القضاء المبرم على ، و ..

قاطعته فى صرامة عصبية :

- لا تقلق فى هذا الشأن .

قال متضرعاً :

- أرجوك يا سنيورا .. إن هذا الـ ...

صاحت فى حدة :

- قلت لك لا تقلق .

ثم أضافت فى لهجة قاسية :

- أخبرنى عندما يتم حسم الأمر .

ثم أنهت المحادثة فى عنف ، وهى تتمتم :

- أغبياء .

وأشعلت سيجارتها فى عصبية زائدة ، وهى تدور

فى حجرتها فى انفعال ..

(أدهم صبرى) ..

دائماً هو (أدهم صبرى) ..

كلما خطت ودبرت ، ظهر هو فى اللحظة الأخيرة ،

ليفسد كل شىء ..

ولكنها لن تسمح بتكرار هذا ، هذه المرة ..

مهما كان الثمن ..

لن تسمح له بإفساد مشروعها النووى ..

أقوى مشروع إجرامى فى القرن العشرين ..

بل وفى التاريخ كله ..

وعلى الرغم منها ، استعاد ذهنها ذلك المشهد ،

الذى كوَّنه منذ قليل ..

طائرة خاصة مروحية ، من طراز (يو - آر - ٣٣) ،

تحلق فى سماء (ريو دى جانيرو) ، فى قلب الليل ،

ومقاتلتان من طراز (إف - ١٥) تنقضان عليها ،

و ...

عجباً !!

الصورة تؤكد ، بم لا يدع مجالاً للشك ، أن الطائرة

المروحية ستلقى نهايتها حتماً ..

فلماذا تشعر فى أعماقها أن الأمر سيختلف !؟

لماذا !؟

ما الذى يمكن أن يفعله (أدهم) ورفاقه بطائرة

صغيرة ، فى مواجهة مقاتلتين حربيتين !؟

ما الذى يمكن أن يفعله !؟

وراح السؤال يلتهم عقلها بلا رحمة أو هوادة ..

واهتزت تلك الصورة ، التي كوَّنها عقلها ..
وبعنف ..

★ ★ ★

« انتهينا لا محالة .. »

هتف (قدرى) بالعبارة فى ارتياح ، وجسده كله يرتجف فى عنف ، وعيناه تحدقان فى المقاتلتين البرازيليتين ، اللتين تبدوان من بعيد ، فى ضوء القمر ، وانعقد حاجبا (منى) فى توتر ، ونهض (بترو) واقفاً فى عصبية ، فى حين مطت (جيهان) شفتيها ، مغممة :

- اللعنة !

(أدهم) وحده تحرك فى سرعة ، والتقط بوق جهاز اللاسلكى ، وضغط أزراره فى سرعة ، قائلاً :
- لا تطلقوا النار .. نداء إلى كل الوحدات المقاتلة ..
لا تطلقوا النار .

نطقها بالبرتغالية ، وبصوت حاد ، يختلف تماماً عن صوته الأسمى ، فالتفت إليه رفاقه فى دهشة ، واتسعت عينا (بترو) فى شدة ، وهو يغمغم :
- الرئيس .. يا إلهى ! إنه الرئيس .

لم يفهم الآخرون فى البداية ما يعنيه ، وهو يشير إلى (أدهم) ، هاتفاً فى انفعال مبهور :

- إنه صوت رئيس الجمهورية .
انعقد حاجبا (جيهان) فى شدة ، وهى تقول بالعربية :

- رئيس الجمهورية !؟

أما (أدهم) ، فقد تابع بالبرتغالية فى سرعة ، مقلداً صوت ولهجة رئيس الجمهورية البرازيلى :

- هنا مقر الرئاسة .. نداء إلى كل المقاتلات الجوية ..
محظور تماماً إطلاق النار على الطائرة (يو - آر - ٣٣) ..
هذه أوامر مباشرة ، من مقر الرئاسة .

تعرف قائدا المقاتلتين ذلك الصوت على الفور ، وهما ينقضان على الطائرة الصغيرة ، وأدهشهما بشدة أن يرسل رئيس الجمهورية شخصياً هذه الرسالة ، عبر موجة الطيران الخاصة ، مما دفعهما إلى الإحجام عن إطلاق النار ، والانطلاق على جانبي الطائرة الصغيرة ، ثم الدوران للعودة إليها مرة أخرى ..

واختل توازن الطائرة ، مع موجة التخلخل العنيفة ،

التي تكوّنت من انطلاق المقاتلتين على جانبيها ، في الاتجاه العكسي ، ومالت على نحو بالغ الخطورة ، لولا أن سيطرت (جيهان) على عجلة القيادة ، بكل ما تملك من قوة ومهارة ، وما إن نجحت في استعادة توازنها ، حتى قال (أدهم) في حزم صارم :

- اتركى لى مقعد القيادة يا (جيهان) .

أرادت أن تعترض ، وأن تعلن أنها قادرة على السيطرة على الطائرة ، إلا أنه لم يمنحها الفرصة لتفعل ، وإنما حلّ حزام مقعد القيادة ، وانتزعها عنه ، واحتلّه في لحظة واحدة ، في نفس اللحظة التي اتبعث فيها من اللاسلكى صوت أحد الطيارين ، وهو يقول في توتر :

- نريد تأكيداً بأمر السيد الرئيس .. لقد تلقينا

أوامر بإطلاق النار مباشرة ، دون إنذار !

غمغمت (جيهان) :

- يا للأوغاد !

أما (أدهم) ، فقد واصل انتحال صوت ولهجة

الرئيس البرازيلى ، وهو يقول :

- ألم تتعرف صوتى أيها الطيار ؟

أجابه الطيار فى توتر أكثر :

- بلى يا سيدى الرئيس ، ولكن ..

قاطعته فى صرامة :

- ألم تتلق الأمر عبر موجة الاتصال الخاصة ،

التي لا يستخدمها سوى ، مع وزير الدفاع ، وقائد

القوات الجوية !؟

غمغم الطيار :

- بلى يا سيادة الرئيس .

صاح به (أدهم) ، مصطنعاً الغضب :

- ماذا هناك إذن .. أطلع الأمر دون مناقشة يا رجل ..

لقد ألغيت أوامر إطلاق النار .. هذه الطائرة

(يو - آر - ٣٣) ، تقوم بمهمة سرية خاصة بالرياسة ،

لا يمكن الإفصاح عنها .. هل تفهم !؟

تنهّد الطيار بصوت مسموع ، وقال :

- أفهم يا سيادة الرئيس .. أفهم .. سأطلب الإذن

من القيادة ، بالعودة إلى القاعدة ، و ...

قاطعته (أدهم) فى صرامة :

- كلاً .. لا يمكنك أن تفعل يا رجل .. كفاتنا

ما تبادلتاه عبر الأثير ، من أسرار ومعلومات خطيرة ..

أغلق أجهزة الاتصال على الفور ، وقم مع رفاقك بحراسة الـ (يو - آر - ٣٣) ، حتى تخرج من مجالنا الجوي .. لست أحب أن تتعرض لحماقه أخرى .

تردد الطيار أمام هذا الأمر ، الذي يتنافى مع أبسط القواعد العسكرية ، وغمغم في شيء من العصبية :
- الواقع يا سيادة الرئيس أن ..

قاطعه (أدهم) في حدة :

- قلت لك : إنها مهمة بالغة الحساسية والخطورة والسرية يا رجل .. مهمة قد يتوقف على نجاحها أمن وبقاء وسلامة الوطن نفسه ..

ثم أضاف في لهجة حازمة :

- ولكن لا بأس .. ستتلقى الآن ذبذبة التأكيد السرية ، وبعدها تنفذ الأمر على الفور .. هل تفهم ؟
أجاب الطيار في اهتمام بالغ :

- بالتأكيد يا سيدي الرئيس .. بالتأكيد .

لم تكن الدهشة قد زائلته بعد ، من إقدام رئيس الجمهورية بنفسه على أمر كهذا ، وساورته بعض الشكوك ، و ...

ولكنه تلقى بالفعل ذبذبة التأكيد السرية ..

ذبذبة خاصة للغاية ، يفترض ألا يعرفها سوى كبار قادة البلاد ، وفي أضيق الحدود ، ويمكن لجهاز خاص في طائرته التقاطها ؛ لتحديد ما إذا كانت الأوامر الصادرة صحيحة أم لا ..

ولأن التوصل إلى تلك الذبذبة ، يكاد يبلغ حد الاستحالة ، فقد تنفس الطيار الصعداء ، فور تلقيه إياها ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة ارتياح ، وهو يقول :

- لا بأس يا سيدي الرئيس .. سيتم تنفيذ الأوامر على الفور .. إنه لشرف عظيم أن أتحدث إلى سيادتكم شخصياً .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو ينهي الاتصال ، ويقول ، مستعيداً صوته الأصلي :

- أخشى أن هذا لن يكون رأيك ، عندما تعود إلى قاعدتك .

ولثوان ، ران على الطائرة صمت عميق ، قطعه (قدرى) ، وهو يهتف :

- أي جنون هذا ، الذي أقدمت عليه يا (أدهم) ؟!
لقد انتحلت شخصية رئيس الجمهورية نفسه ؟!

وغمغت (جيهان) مبهورة :

- كان بإمكانك أن تكتفى بانتحال شخصية قائد
الطيران فحسب .

هزت (منى) رأسها فى قوة ، وهى تقول مبتسمة ،
فى حب وإعجاب :

- لو أنه اكتفى بهذا ، لما كان (أدهم) الذى أعرفه .

التفت إليها (جيهان) فى حركة حادة ، فى حين
ضحك (أدهم) قائلاً :

- بالضبط .

ثم استرخى فى مقعد القيادة ، وهو ينطلق فى
حراسة المقاتلتين ، متابعاً بابتسامة ساخرة هادئة :

- فلو أننى انتحلت شخصية قائد الطيران ، لشكّ

الطيران فى أمرى ، ولعاودا الاتصال بالقيادة ، والتأكد

من الأمر ، فليس من المنطقى أن يصدر إليهم الرجل

أمراً ما ، ثم يعود لإلغائه بهذا الحزم ، ولو أننى

انتحلت شخصية وزير الدفاع نفسه ، لكان فى الأمر

مخاطرة كبيرة ، إذ إنه من المحتمل أن يكون الوزير

هو الذى أصدر القرار بالهجوم على طائرتنا ، ونسفها

دون إنذار .. أما رئيس الجمهورية ، فهو شخص

لا يتوقع أحد ظهوره بغتة على الساحة ، فى موقف

كهذا ، وعلى هذا النحو المباشر ، مما سيربك

الطيارين حتماً ، ويشل تفكيرهما ، ويفقدهما القدرة

على اتخاذ قرار سريع مناسب ، ومع التقليد الجيد

لصوت الرئيس ولهجته ، واستخدامه قناة اتصال

لاسلكية خاصة ، لا تتاح إلا لكبار القادة ، سيتضاعف

ارتباكهما ، وستنتابهما حيرة بالغة ، ولكنهما سيميلان

إلى تصديق الأمر ، على الرغم من غرابته .. بل ربما

كانت غرابته نفسها هى جواز مروره إلى عقليهما .

غمغم (قدرى) مبهوراً :

- كنت أتصور أن العكس هو الصحيح !

قال (أدهم) فى سرعة :

- هما أيضاً سيتصوران هذا ، وسيبدو لهما أنه من

الجنون أن ينتحل شخص ما شخصية الرئيس .

قالت (منى) مبتسمة :

- وأن يجيد انتحال شخصيته إلى هذا الحد .

أوما برأسه ، مغمغاً :

- بالضبط .. فالموقف كله عجيب وجنونى للغاية ،

ولكن كل العوامل تشير إلى أن احتمالات صدقه أكبر

من احتمالات الخداع فيه ، والفضل في هذا يعود ،
بعد الله (سبحانه وتعالى) ، إلى زملائنا في مكتب
(البرازيل) ، الذين بذلوا جهداً خرافياً ، منذ بدءوا
عملهم هنا ، حتى صارت لديهم شبكة قوية للغاية من
المعلومات ، جعلتنا نتوصل إلى معرفة موجة الاتصال
الخاصة للمقاتلات البرازيلية ، وذبذبة التأكيد السرية
للقوات الجوية .

سأله (قدرى) بأنفاس مبهورة :

- وهل كنت تتوقع حدوث أمر كهذا !؟

أجابه (أدهم) في حزم :

- رجل المخابرات الناجح لا بد أن يضع في اعتباره
كل الاحتمالات المتوقعة ، وحتى النادرة .
ابتسمت (جيهان) في خبث ، مغمغة :
- هل ستخبرنى !؟

ثم أسبلت جفنيها ، واسترخت في مقعدها ، مستطردة :
- المهم أنه ما دمت تصرّ على قيادة الطائرة بنفسك
فأيقظنى عندما نصل إلى (سوكرية) .

تحسّس (قدرى) معدته ، وقال في لهجة أقرب
إلى الضراعة :

- ألن نتناول أى طعام هنا !؟ ينبغي أن أبدأ عملية
صنع جوازات السفر الجديدة ، ولا يمكننى العمل بمعدة
خالية .

ضحك (أدهم) ، قائلاً :

- لا بد أن تعتاد هذا الأمر يا صديقى ، فما زالت
أمامنا ساعة كاملة ، قبل أن نبلغ (سوكرية) .
مطّ (قدرى) شفثيه ، وأشار إلى (بترو) ليناوله
حقيبتيه ، وهو يغمغم :

- ساعة كاملة !؟ من يدري ما الذى يمكن أن يحدث ،
خلال هذه الساعة !؟

نعم يا (قدرى) .. أنت على حق تماماً فى عبارتك
هذه ..

لا أحد يدري ما الذى يمكن أن يحدث ، خلال هذه
الساعة !؟

لا أحد ..

مطلقاً ..

★ ★ ★

١ - الخطة ..

ران صمت مهيب على قاعة الاجتماعات ، في مبنى المخبرات العامة المصرية ، والدكتور (محمد العفيفي) يخط بعض المعادلات الرياضية المعقدة ، على لوحة كبيرة ، وتطلع إليه الجميع في اهتمام شديد ، محاولين فهم تلك المعادلات الصعبة ، حتى التفت إليهم الدكتور (محمد) ، قائلاً في حماس جارف :

- هذا ما توصلت إليه أيها السادة .. إنها ليست مسألة جغرافية والحمد لله .. إنها مسألة علمية بحثية .. ليس من الضروري أن أعود إلى دراسة الجغرافيا ، بعد هذا العمر .. كل ما أحتاج إليه هو تحديد مواصفات المكان المناسب لبناء مفاعل نووي ، ثم ترك الأمر كله بعدئذ لخبراء الخرائط وعلماء الجغرافيا ، لتطبيق هذه المواصفات على تضاريس المنطقة ، وتحديد الموقع بالضبط .

وفي استفاضة وحماس ، راح يشرح معادلاته ، ويضع مواصفات المكان المناسب ، وچار رجال المخبرات في استيعاب تلك الأمور المعقدة ، فقال المدير في صرامة :

- أشكرك على هذا الشرح المستفيض يا دكتور (محمد) ، ولكن هل يمكنك أن تنتقل بنا إلى النتائج مباشرة .

خلع خبير الهندسة النووية منظاره ، وهو يسأله في قلق :

- هل تعتقد أنه بإمكانكم استيعاب النتائج بدون المقدمات !؟

تبادل الجميع نظرة سريعة ، ثم قالوا في آن واحد :

- بالتأكيد .

تراجع في دهشة ، مع ذلك الهتاف المشترك ، ثم حدق فيهم لحظة ، قبل أن يعود لارتداء منظاره ، مغمماً :

- لا بأس .. ما دمتم تريدون هذا !
ثم التفت إلى خريطة (بوليفيا) ، المعلقة على الجدار ، متابعاً بنفس الحماس :

- لقد طرحت تلك المواصفات القياسية على برنامج الكمبيوتر الجغرافي ، وطلبت منه تحديد الأماكن التي يمكن أن تنطبق عليها تلك الصفات ، إلى أقرب حد ممكن ، في (بوليفيا) ، وها هي ذى النتائج .. ثلاثة أماكن محتملة فحسب ، في المنطقة كلها .. خط طول ٦٢° مع خط عرض ١٨° ، أو خط طول ٦٥° مع خط عرض ٢١,٥٠° ، أو خط طول ٦٧° مع خط عرض ١٥° .. ولو لاحظتم هذه الأماكن الثلاثة ، فسنجد أن الموقع رقم واحد على مقربة من العاصمة (سوكريه) ، أما الموقع رقم اثنين ، ففي منطقة (فيلا مونتز) ، والموقع الأخير قريب من (لاباز) ، التي يعتبرونها العاصمة الفعلية للبلاد ، باعتبارها أكبر مركز تجارى فى المنطقة كلها .

ابتسم المدير ، قائلاً :

- وتقول : إنك لا تجيد الجغرافيا !

تضرج وجه الدكتور (محمد) بحمرة الخجل ، وهو يغمغم :

- إنها مجرد معلومات عامة ، قرأتها منذ ساعة واحدة عن (بوليفيا) .

أشار إليه المدير ، قائلاً :

- لا بأس يا دكتور (محمد) .. لا بأس .. المهم أن تخبرنا : أى تلك المواقع الثلاثة يبدو لك أكثر مناسبة ، لبناء ذلك المفاعل النووى ؟

هز الدكتور (محمد) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى أسف :
- لا يمكننى تحديد هذا بدقة تامة أيها السادة ..
إننى أعتذر .

تبادل الرجال نظرة سريعة ، قبل أن يقول المدير فى حزم :

- الواقع أنك قد بذلت جهداً رائعاً يا دكتور (محمد) ، ونحن نشكرك عليه كثيراً ، وسنواصل نحن البحث بأسلوبنا .
ثم التفت إلى رجاله ، مضيفاً :

- أما الآن ، فعليكم إبلاغ تلك المعلومات الجديدة لـ (ن - ١) .. أعتقد أنها ستفيده كثيراً ، عندما يصل إلى (بوليفيا) .

اندفع أحدهم يقول :

- هذا لو بلغها سالمًا .

نطقها فى تلقائية ، ثم احتقن وجهه فى شدة ، مدركاً أن العبارة لم تكن تناسب الموقف قط ..
ولكن أحدًا لم يستنكر أو يعترض ..

فقط عاد الرجال يتبادلون نظرة صامتة عصبية ،
وفي عقولهم تتردد العبارة نفسها ، التي يخشاها كل
منهم في أعماقه ..

نعم .. هذا لو بلغ (بوليفيا) سالمًا ..
لو !!

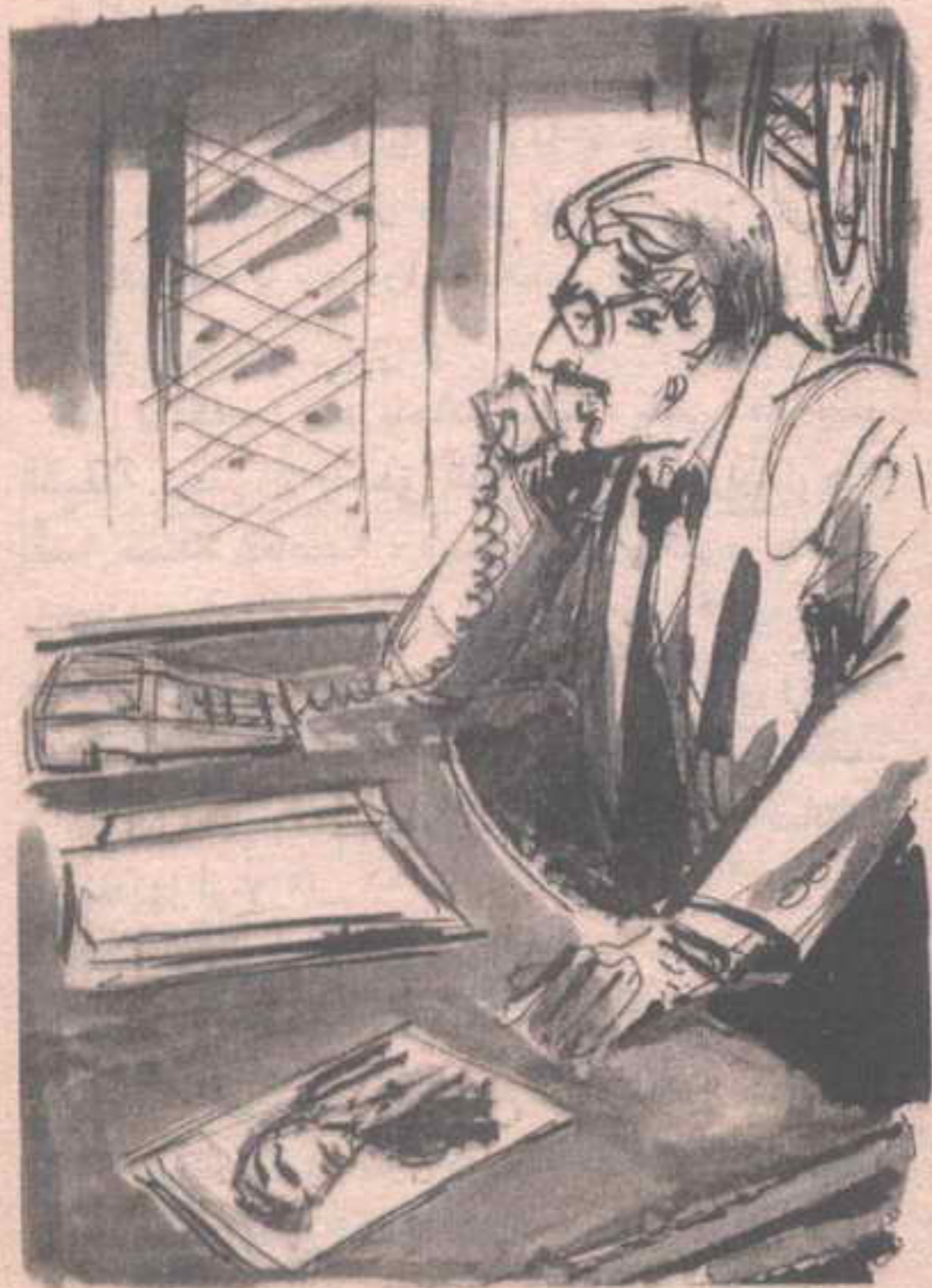
★ ★ ★

ألقي (فيليب نواريه) ، محافظ (سوكرية) نظرة
على ساعته في عصبية ، وهو يراجع الأوراق العديدة
على مكتبه ، ثم جذب صورة (أدهم صبرى) ، التي
أرسلتها إليه السنيورا عبر الكمبيوتر ، وتطلع إليها
لحظة ، قبل أن يغمغم في توتر :

- عجبًا ! الرجل يبدو وسيماً أنيقاً ، وعلى الرغم
من هذا ، فنظراته تبعث في جسدي قشعريرة عجيبة ،
كما لو أنه يطلّ علىّ بالفعل ، من داخل الصورة .
وألقي الصورة في حدة ، ومدّ يده ليلتقط سماعة
هاتفه ، و ...

وفجأة ، انطلق رنين الهاتف ..

انطلق بغتة ، على نحو ارتجف له جسده ، حتى كاد
يقفز من مقعده ، وهو يحدّق في الهاتف في ارتياح ،
ثم لم يلبث أن التفت سماعته ، وقال في توتر بالغ :



وألقي الصورة في حدة ، ومدّ يده ليلتقط سماعة هاتفه ..

- من المتحدّث؟!؟

أتاه صوت السنيورا ، وهى تسأله فى صرامة :

- هل نفذت أوامرى يا (نواريه) .

قفز من مقعده بالفعل ، وهو يهتف :

- أهو أنت يا سنيورا؟! نعم .. إننا .. إننا ننفذ

أوامرك الآن .

كان يرتجف ، وهو يتحدّث إليها ، على نحو يثير

الشفقة ، حتى لا يصدّق المرء أن هذا الرجل هو

نفسه محافظ العاصمة ، الصارم الحازم القوى ، الذى

يرتجف لمرآه الجميع ، والذى بدا الآن أشبه بطفل

مخطئ ، يقف أمام أمه ، التى تلوّح فى وجهه

بعصاتها ، والسنيورا تصيح فيه ، عبر أسلاك الهاتف :

- ماذا تعنى بأنكم تنفذون الأوامر يا رجل؟! سألتك :

هل نفذتها أم لا؟!؟

تنهّد الرجل فى عصبية ، مجيبًا :

- نفذنا معظمها يا سنيورا .

زمجرت فى شراسة ، على نحو غاص معه قلبه

بين ساقيه ، قبل أن تقول فى صرامة غاضبة مخيفة :

- من الواضح أنك لا تفهم الأمر أو تقدّره جيدًا

يا رجل .. ذلك الرجل ، الذى أرسلت لك صورته ،

واحد من أخطر رجال المخابرات فى العالم ..

احتقن وجهه بشدة ، وهو يقول فى ذعر :

- المخابرات؟! يا إلهى ! هل نواجه الأمريكيين

يا سيّدتى؟!؟

صاحت به فى حدة :

- تماسك يا رجل .. إننا لا نواجه الأمريكيين .

قال فى هلع :

- ولكنك تقولين إنه من أخطر رجال المخابرات فى

العالم .

قالت فى غضب :

- يا لك من أحمق ! هل صدّقت دعاية الأمريكيين ،

التي تحاول إقناعنا بأن رجال مخابراتهم هم أفضل

رجال مخابرات فى العالم؟!؟

سألها الرجل ، وهو يجفف عرقًا وهميًا عن وجهه :

- إلى أية دولة ينتمى إذن يا سنيورا .

قالت فى صرامة :

- لا شأن لك بهذا الآن .. كل ما عليك أن تعرفه

هو أنه فى طريقه إلى هنا ، من (ريو) ، مع عدد من

رفاقه .. امرأتان ورجل ، فى طائرة (يو - آر - ٣٣) .

أردد لعبه ، وهو يكرّر :

- فى طائرة !!

بدا له صوتها صارمًا عميقًا ، وهى تقول :

- ولا ينبغى أن تصل تلك الطائرة إلى (سوكرية)
يا (نواريه) .

أردد لعبه مرة أخرى ، وهو يسألها فى قلق :

- ماذا تريدون هذه المرة يا سنيورا ؟!

أجابته فى صرامة :

- لقد سمعتنى يا (نواريه) .. لا ينبغى أن تصل

تلك الطائرة إلى (سوكرية) .

ثم أضافت ، فى لهجة تجمّدت لها الدماء فى
عروقه :

- أبدًا .

قالتها ، وأنهت الاتصال فى عنف ، فانتفض جسده
مرة أخرى ، وحدّق فى سماعة الهاتف لحظة ، ثم
أعادها إلى موضعها فى بطء ، مغمغماً :

- من الواضح أنها ليلة لن تمضى بسهولة .

وجلس على مقعده ثانية ، وهو يفرك كفيه فى
عصبية شديدة ، مردّدًا :

- ما الذى ينبغى فعله لإيقاف طائرة ؟! تلك المجنونة
لا تدرك أننى لا أستطيع طلب هذا من القوات الجوية
مباشرة .. هذا لا يدخل تحت نطاق سلطتى المباشرة ..
لا بد أن أطلب هذا من وزير الدفاع ، وهذا يعنى
إشراكه فى الأمر ، وتفريق الأوراق على نطاق واسع ،
لا يتفق مع رغبتى فى عدم جذب الانتباه أو لفت
الأنظار .. يا إلهى ! ما الذى ينبغى فعله لتجاوز الأمر ،
دون أن أثير غضبها ؟!

اعتصر ذهنه فى شدة ، محاولاً البحث عن وسيلة ما ..

واعتصره ..

واعتصره ..

ثم فجأة ، قفزت إلى ذهنه فكرة ..

فكرة جعلته يهتف فى حماس :

- يا إلهى ! إننى عبقرى بحق .

ثم اختطف سماعة هاتفه ، وجسده كله يرتجف من

فرط الانفعال هذه المرة ..

لقد توصل بالفعل إلى خطة عبقرية ..

للغاية ..

★ ★ ★

« إلى قائد الـ (يو - آر - ٣٣) .. لقد اقتربنا من المجال الجوي البوليفي ، ولا يمكننا مواصلة الطريق معك لأكثر من هذا .. »

تلقى (أدهم) هذه الرسالة ، عبر موجة الاتصالات العادية ، فى لاسلكى الطائرة ، فضغط زر التحدث ، قائلا بالبرتغالية :

- فليكن أيها الطيار .. لقد فعلت أقصى ما يمكنك بالفعل .. يمكنكما العودة الآن ، وسأبلغ الرئيس عن مدى تعاونكما .

انفصلت المقاتلتان عن الطائرة الصغيرة ، والطيار يقول :

- هذا عظيم يا سيدي .. عظيم للغاية .. أبلغ فخامة الرئيس أنه يسعدنا كثيرا أن نؤدى دورا محدودا ، فى مهمة سرية بالغة الخطورة كهذه .. وبالمناسبة .. اسمى (ألبرتو) ، وزميلي (ميلان) ، ورقما طائرتينا هما (بى . إيه . إف ٣٠٩) و (بى . إيه . إف ٢٩٧) على التوالي .

ابتسم (أدهم) ، قائلا :
- سأؤكد من إبلاغ هذه المعلومات إلى الرئيس بنفسى .

ابتعدت المقاتلتان ، وصوت الطيار يأتى عبر اللاسلكى ، قائلا :

- وداعا ، وحظا سعيدا فى مهمتكم .

غمغم (أدهم) :

- أشكرك .

ثم انخفض بالطائرة بزاوية هادئة ، فهتف (قدرى) :

- هل اتصرفا !؟

أجابته (أدهم) فى اقتضاب ، وبلهجة تشف عن

تركيزه الشديد فى أمر ما :

- بالتأكيد .

ران عليهم جميعا صمت مطبق ، وهم يراقبون انخفاض الطائرة ، ثم قطع (أدهم) هذا الصمت ، وهو يقول ، وكأنه يتابع حديثه :

- الواقع أن المقاتلتين قدمتا لنا خدمة كبيرة للغاية ،

فلولاهما ما أمكننا عبور كل تلك المسافة ، داخل

المجال الجوى البرازيلى ، فى قيادة ليلية ، مع

معرفتنا المحدودة بالمنطقة .

سأله (قدرى) فى قلق :

- وماذا عن المجال الجوى البوليفي ؟

انخفض (أدهم) بالطائرة أكثر ، وهو يجيب :
- سنحاول استغلال التضاريس الجبلية لـ (بوليفيا) ؛
لتفادي أجهزة الرادار والدفاع الجوي .
اتسعت عينا (قدرى) فى ارتياح ، وهو يهتف :
- وماذا لو اصطدمنا بأحد تلك الجبال !؟
لم يكذ يلقى سؤاله ، حتى انفجر الجميع بالضحك
فجأة ، فاتعقد حاجباه ، وهو يقول فى شىء من
العصبية :

- هل لى أن أعرف ما يضحكم !؟

أجابه (أدهم) بابتسامة كبيرة :

- لا شىء يا عزيزى (قدرى) .. لا شىء .

هتف (قدرى) فى حدة :

- ماذا تعنى بلا شىء !؟ إنكم تضحكون بالفعل !

أجابته (منى) مبتسمة :

- الجبال ليست شيئاً بسيطاً لترتطم بها يا (قدرى) .

وضحكت (جيهان) ، قائلة :

- من الواضح أنك تجهل كل شىء عن الطيران .

مط (قدرى) شفثيه ، وقال :

- ربما كان هذا صحيحاً .

ثم استدرك فى عناد :

- ولكننى أعلم الكثير عن أشياء أخرى .

أجابه (أدهم) مبتسماً :

- بالتأكيد يا صديقى .. إنك صاحب أبرع أصابع

عرفتها ، فى حياتى كلها .

ثم غمز بعينيه ، مستطرداً :

- وبالمناسبة .. هل انتهت أصابعك الذهبية ، من

صنع جوازات السفر الجديدة !؟

أجابه (قدرى) فى شىء من الزهو :

- إننا نظير منذ ما يقرب من الساعة ، وعمل بسيط

كهذا لا يحتاج من مثلى لكل هذا الوقت .

هتف (جيهان) :

- يا للغرور !

هز (قدرى) كتفيه المكتظتين ، قائلاً :

- لو أن قولى لا يعجبك ، دعينا نر مهارتك فى

تروير توقيع بسيط ، لأى شخص عادى .

أطلق (أدهم) ضحكة قصيرة ، وقال :

- كفى يا رفاق .. ادخروا جهدكم هذا لصراعنا

القادم ، عندما نبلغ (سوكرية) .

سأله (قدرى) فى توتر :

- هل تعتقد أننا سندخل فى صراع جديد هناك !؟

أجابته (منى) :

- بالتأكيد يا (قدرى) .. ليس لدى أدنى شك فى هذا ، فلا ريب فى أن رجال السنيورا فى (ريو) قد أبلغوها ما حدث هناك ، وهى تعلم حتمًا أننا فى طريقنا إلى (بوليفيا) ، فى طائرة (يو - آر - ٣٣) ، وستبذل قصارى جهدها بالطبع ، لمنعنا من بلوغ (سوكرية) ..

قالت (جيهان) فى اهتمام :

- هذا صحيح .. إنها لن تسمح بوصولنا إلى عقر دارها .

ارتجف صوت (قدرى) ، وهو يقول :

- عظيم .. حديثكم هذا يرفع من روحى المعنوية بالتأكيد .

مط (أدهم) شفتيه ، وقال :

- السؤال هو : ما الذى يمكن أن تفعله بالضبط .

تنهدت (منى) ، مغممة :

- الدقائق القادمة ستكشف هذا الأمر .

هتف (قدرى) فى هلع :

- أتعثم ألا تكشفه .

وانطلقت ضحكات الجميع مرة أخرى ، فهتف محنقًا :

- ما الذى يضحكم بالله عليكم فى موقف كهذا .

ابتسم (أدهم) مشفقًا ، ثم قال بالبرتغالية :

- (بترو) .. استعد بالمظلات .

كان (بترو) يجلس صامتًا طوال الوقت ، مع

جهله باللغة العربية ، وبالحديث الذى يدور بينهم ،

فنهض على الفور ، والتقط المظلات ، وراح يوزعها

عليهم ، فهتف (قدرى) فى هلع :

- ما هذا !؟ هل تتوقعون منى أن أستخدم هذا

الشيء !؟

أجابته (جيهان) ، وهى تحاول دفعه إلى ارتداء

المظلة :

- بالتأكيد .. ستبدو وسيماً للغاية ، و ...

قاطعها فى حدة ، وهو يدفعها بعيدًا عنه :

- بل سأبدوا بشعًا ، عندما أسقط مع ثقل وزنى ،

وأرتطم بالأرض .

قال (أدهم) فى حزم :

- سأعمل على ألا يحدث هذا .

صاح (قدرى) فى عناد :

- لا يمكننى أن أرتديه .. سأسقط حتماً .. أنا أعرف

نفسى ، ولن ..

قاطعته (أدهم) بصيحة صارمة :

- ارتد المظلة يا (قدرى) .. الآن .

امتقع وجه (قدرى) ، وهو يحدق فى (أدهم) ،

الذى تابع ، دون أن يلتفت إليه :

- ارتد المظلة ، وإلا فأقسم أن ألقىك خارج الطائرة

بدونها ، إذا ما اضطررتى الأمر لهذا .

اتسعت عيناه (قدرى) فى هلع ، ونقل بصره بينهم ،

وهو يقول مرتبكا :

- إنه مجرد تهديد .. أليس كذلك ؟! (أدهم)

لا يمكن أن يلقينى خارج الطائرة دون مظلة .. إننى

صديقه الوحيد .. أليس كذلك ؟!

تطلعت إليه (جيهان) فى هدوء ، قائلة :

- هل تعتقد أن (أدهم) سيضحي بنجاح المهمة

من أجلك ؟!

اتسعت عيناه أكثر وأكثر ، وبدأ وكأن الفكرة قد

أصابته بارتياح شديد ، ثم لم يلبث أن اختطف المظلة

من يده (جيهان) ، قائلاً فى عصبية :

- سأرتديها .

ابتسمت (منى) ، وارتدت مظلتها فى صمت ، ثم

التفتت إليه ، وتطلعت لحظة إلى وجهه المحتقن فى

توتر ، ثم قالت متعاطفة :

- لا تقلق يا (قدرى) .. إنه مجرد إجراء وقائى

ربما لا نحتاج إلى استخدامها قط ، وربما ..

قبل أن تتم عبارتها ، أطفئت الأنوار بغتة داخل

الطائرة ، فقفز (قدرى) صارخاً :

- ماذا حدث ؟! هل هاجمونا ؟!

أجابته (أدهم) فى صرامة :

- عد إلى مقعدك يا (قدرى) .. لقد أطفأت الأنوار ؛

لأننا نقرب من المنطقة العسكرية ، ولا أريد أن

يلمحونا ، فى هذه المرحلة بالذات .

سألته (جيهان) فى اهتمام :

- وكيف علمت بوجود منطقة عسكرية هنا ؟!

أجابها فى حزم :

- إنها إحدى المعلومات شديدة الأهمية ، التي لا بد من معرفتها ، عندما يعمل المرء في (أمريكا) الجنوبية .. مواقع المعسكرات ، ومناطق الكثافة العسكرية ..

تطلعت في اهتمام غير نافذة الطائرة المجاورة لها ، إلى الجبال ، التي ينطلق (أدهم) بينها على ارتفاع منخفض ، ثم غمغت :

- لست أرى أية مناطق عسكرية .
أجابها في سرعة :

- إننا ننطلق بالفعل على مسافة أحد عشر كيلومتراً من إحدى المناطق العسكرية ، ولو واصلنا الانطلاق بنفس السرعة والهدوء ، لثلاث دقائق أخرى ، دون إضاءة الأنوار ، فلن يمكنهم قط أن يلمحونا ، ولن ..

قبل أن يتم عبارته ، أضيئت السماء فجأة من بعيد ، ثم بلغ مسامعهم دوى انفجار مكتوم (*) ، أعقبه انطلاق صوت مذعور ، غير جهاز اللاسلكي ، يهتف :

(*) سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت بعدة أضعاف ، إذ تبلغ سرعة الضوء (٢٩٩٧٩٠ كم/ث) ، في حين لا تزيد سرعة الصوت على (٣٤٠ كم/ث) .

- رباه ! إنها طائرة صغيرة تهاجم المعسكر ، وتقصفه بالصواريخ .. طائرة من طراز (يو - آر - ٣٣) .. أطلقت علينا صاروخاً ، ثم انطلقت هاربة .. أكرر لكل وحدات الدفاع الجوي .. طائرة (يو - آر - ٣٣) ، أطلقت صاروخاً على معسكر حربي ، ولا بد من التعامل معها على الفور .

وانعدت حواجب الجميع في شدة ، في حين ارتجف (قدرى) ، وهو يقول :

- يا إلهي ! الآن عرفت ما الذي يمكن أن تفعله السنيورا؟! الآن فقط عرفت !

وانهار في مقعده ..
تماماً ..

★ ★ ★

« صدقيني يا سنيورا .. إنها فكرة عبقرية بحق .. »
هتف (نواريه) بالعبارة في حماس ، غير أسلاك الهاتف ، ولوح بذراعه كلها ، قبل أن يتابع في انفعال :
- خبرتي السابقة كمهندس طيران ، جعلتني أتخيل المسار المنطقي ، الذي يمكن أن تتخذه طائرة ، تحاول التسلل إلى مجالنا الجوي ، دون أن تلتقطها

أجهزة الرادار ، أو تحدد قوات الدفاع الجوي موقعها ،
فمن المحتمل أن تحلق طائرة كهذه على ارتفاع
منخفض ، وسط سلاسل الجبال الشرقية ، التي
ستقودها حتماً إلى حدود العاصمة (سوكرية) ، لذا
فقد اتصلت بأحد أعوانى ، من رجال الجيش ، فى تلك
المنطقة ، وحسبت سرعة الطيران اللازمة ، والزمن
اللازم لبلوغ منطقة المعسكر تقريباً ، واستطعت
تحديد الوقت ، الذى ستصل فيه الطائرة إلى حد ما ،
ثم طلبت من ذلك الرجل أن ينسف أحد مخازن الذخيرة
فى المعسكر ، فى التوقيت المناسب ، ثم يهتف عبر
اللاسلكى ، مدعياً أن طائرة صغيرة ، من طراز
(يو - آر - ٣٣) ، قد أطلقت صاروخاً نحو المخزن .
وانطلقت من حلقه ضحكة هستيرية ، ثم استطرد :
- هل تعلمين ما رد الفعل الطبيعى ، فى مثل هذا
الموقف ؟! سيطلقون المقاتلات على الفور ، لتمشيط
المنطقة ، وستعثر تلك المقاتلات حتماً على
الـ (يو - آر - ٣٣) الصغيرة ، و ...
لم يحاول إكمال عبارته ، وهو يطلق ضحكة أخرى ، ويقول :
- أنت تعرفين المصير الطبيعى بالتأكيد .

كان يضحك فى انفعال تام ، حتى إنه لم ينتبه إلى
أنها لم تنطق حرفاً واحداً طوال الوقت ، إلا مع ضحكته
الأخيرة ، فبترها دفعة واحدة ، وسألها فى قلق :

- سنيورا .. أما زلت هناك ؟!

أجابته فى برود عجيب :

- بلى ..

وعلى الرغم من أن جوابها لم يتجاوز تلك الحروف
القليلة ، إلا أنه أطلق فى أعماقه قشعريرة باردة ،
جعلته يفقد حماسه كله ، ويقول بصوت زائله الثقة :

- هل ارتكبت خطأ ما يا سنيورا ؟!

أدهشه أن أجابته بنفس البرود :

- مطلقاً .

وقبل أن ينبس بحرف إضافى ، تابعت فى صرامة مباغتة :

- ولكننى لم أعتد الابتهاج بأمر ما ، قبل أن يتم

حسمه على نحو نهائى ، وبصورة لا تقبل الشك .

ارتبك ، مغمماً :

- سنيورا .. صدقيني .. الخطة محكمة للغاية ، و ...

قاطعته فى صرامة :

- هذا لا يعنينى مطلقاً يا (نواريه) .

قال في دهشة :

- لا يعينك !؟

أجابته في صرامة أكثر :

- ولست أنتظر منه نجاحًا أيضًا أيها المحافظ .

تضاعفت دهشته ألف مرة ، وهو يقول :

- سنيورا .. لا يمكنني أن أفهمك .

قالت في حدة :

- لا داعي أن تحاول إذن يا رجل .

ثم استطردت في لهجة قاسية أمره :

- اسمع يا (نواريه) .. دعني أكشف أوراقى أمامك

في وضوح .. ذلك الرجل ، الذى طلبت منك مواجهته ،

ليس أحد أخطر رجال المخابرات فى العالم فحسب ،

بل هو فى الواقع ، أخطر رجل مخابرات على الإطلاق .

خفق قلبه فى عنف ، عندما استمع إلى عبارتها

الأخيرة ، وتمتم :

- يا إلهى !

صاحت فى صرامة :

- قلت إننى لا أنتظر نجاحًا .

جف حلقه على نحو عجيب ، وهو يغمغم :

- ما المفترض أن نفعله إذن يا سنيورا !؟

أجابته فى صرامة تقطر حنقا :

- أقصى ما يمكنكم يا رجل .. قاتلوه .. طاردوه ..

أرسلوا خلفه كل رجل لديكم .. كل سيارة .. كل طائرة ..

ليس المهم أن تنتصروا عليه ، أو تتعادلوا معه ، أو

حتى تنهزموا أمامه .. المهم أن يلهث طوال الوقت ،

وبلا انقطاع ، وألا يجد ورفاقه فرصة لالتقاط أنفاسهم ،

قبل تسع ساعات كاملة .

سأل فى دهشة حذرة :

- ولماذا تسع ساعات بالتحديد !؟

أجابته بكل غضب وعصبية الدنيا :

- لأن هذا كل ما أحتاج إليه من وقت .

قالتها ، وأنهت المحادثة فى عنف ، تاركمة إياه ،

وقد غمرته الحيرة حتى أنثيه ، ودار رأسه بألف

سؤال وسؤال ، وعلى رأسها سؤال واحد ..

ترى كيف سارت الأمور هناك ، وسط سلاسل الجبال !؟

كيف !؟

★ ★ ★

« ما الذى يمكن أن نفعله الآن !؟ »

أقلت (جيهان) السؤال على (أدهم) فى حزم ،
وهى تغادر مقعدها ، وتتجه نحوه ، فأجابها وهو
ينخفض بالطائرة أكثر :

- من الواضح أن اللعبة محكمة للغاية ، وأنهم
استطاعوا تقدير موعد وصولنا بدقة تستحق
الإعجاب ، ومع ذلك الانفجار الملق ، سيتم استنفار
كل وحدات الدفاع الجوى للبحث عن طائرة صغيرة ،
من طراز (يو - آر - ٣٣) ، وأعتقد أنهم لن يفكروا
كثيراً ، قبل أن يطلقوا النار عليها .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حسم :

- فرصتنا الوحيدة ، هى أن نحسن استغلال فترة
استنفار قوات الدفاع الجوى هذه إلى أقصى حد .

قال (قدرى) فى دهشة :

- نحسن استغلالها !؟ وكيف هذا !؟

انخفض (أدهم) بالطائرة أكثر وأكثر ، وهو يجيب :
- عندما يتم استنفار وحدات الدفاع الجوى ، لمواجهة
أو تدمير طائرة أجنبية ، لا يمكن إطلاق المقاتلات
المحلية خلف تلك الطائرة فى الوقت ذاته ، خشية أن
تصيب وحدات الدفاع الجوى طائراتها بخطأ ما ، وهذا
يعنى أن أمامنا عشر دقائق على الأقل ، قبل أن تظهر
مقاتلاتهم .

سأله فى عصبية :

- وما الذى يمكننا فعله ، خلال عشر دقائق فحسب !؟
صمت (أدهم) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :
- الكثير .

قالها ، وانحرف بالطائرة فى حركة حادة ، مسائراً
انحناء المسار الجبلى ، وهو يسأل (بترى)
بالبرتغالية :

- هل أحضرت خريطة (بوليفيا) ؟

هبط إليه (بترى) على الفور ، وهو يحمل
الخريطة ، قائلاً فى حماس :

- بالطبع يا (أومو بيليجروسو) .

قال (أدهم) بسرعة :

- التقطى الخريطة يا (جيهان) ، وابتحنى لنا عن بحيرة صغيرة .. لقد لمحتها في مكان ما هنا .
بدا التوتر على ملامح (منى) ، عندما التقطت (جيهان) الخريطة ، وراحت تفحصها في سرعة ، مغممة :

- بحيرة صغيرة !؟

أجابها (أدهم) في سرعة :

- نعم .. إنها ليست بحيرة بالمعنى العام ، ولكنها اتساع واضح ، في أحد الأفرع الجبلية لنهر ما ، في هذه المنطقة .

سألته في اهتمام :

- هل تفكر في الهبوط على سطح البحيرة !؟

أجابها في حزم :

- كلا .. إننى أفكر فى ...

قبل أن يتم عبارته ، انطلق من جهاز اللاسلكى صوت صارم ، يقول بالأسبانية :

- إلى جميع وحدات الدفاع الجوى .. لا تطلقوا النار على الطائرة (يو - آر - ٣٣) أكرّر .. لا تستخدموا وسائل الدفاع الجوى مطلقاً .

التقى حاجبا (أدهم) فى شدة ، فى حين رفعت (جيهان) رأسها عن الخريطة فى حركة حادة ، ومالت (منى) إلى الأمام ، محاولة استيعاب الكلمات الأسبانية ، و (قدرى) يقول فى عصبية زائدة :

- ما الذى يحدث بالضبط !؟

هتفت به (جيهان) :

- لقد أصدرنا أمراً بعدم استخدام وسائل الدفاع

الجوى .

تهللت أساريره ، وهو يهتف :

- حقاً !؟

التفتت إليه (منى) ، قائلة فى عصبية :

- ألا تدرك ما يعنيه هذا يا (قدرى) !؟

التفت إليها متسائلاً ، فتابعت :

- إنه يعنى أن المقاتلات قد انطلقت فى أعقابنا .

انطلقت من حلقة شهقة قوية ، وتشبث بمقعده فى

حركة آلية ، و ...

وفى نفس اللحظة ، برزت طائرتا هليوكوبتر ، من

السلاح الجوى البوليفى ..

برزتا بغتة ، من خلف بروز جبلى ضخم ، وانقضتا

على الطائرة الصغيرة ، وكأنما تعرفان موقعها بمنتهى
الدقة ..

وصاح (أدهم) فى صرامة :

- تشبثوا بمقاعدكم .

قالها ، وارتفع فجأة بالطائرة ، ومال بها على نحو
مخيف ، بحيث أصبحت تنطلق عمودياً ، وجناحها
الأيسر ناحية الأرض ، وهى تندفع نحو طائرتى
الهليكوبتر الحربيتين مباشرة ..

وكانت مبادرة مباغتة للغاية ، لقائدى الطائرتين ،
فهتف أحدهما فى دهشة :

- ما الذى يفعله هذا المجنون !؟

لم يكن زميله أقل منه دهشة ، إلا أن كليهما ،
كمقاتلين محترفين ، لم يسمحا للدهشة بإلغاء عقليهما ،
فضغطا زرى إطلاق النار فى سرعة ..

وانطلقت رصاصاتهما نحو الطائرة الصغيرة ..

ولكن تلك الزاوية ، التى انطلق بها (أدهم)
نحوهما ، جعلتهما يواجهان مقدمة الطائرة وحدها
فاخترقت بعض رصاصاتهما جزءاً منها ، فى حين
طاشت معظم الرصاصات الأخرى ، فيما عدا ثلاث ،

اخترقت كلها جناحى الطائرة ، التى واصلت الانطلاق ،
وكانما لا يعنىها أمر الرصاصات المنهمرة عليها
كالمطر ..

ثم مرقت بين طائرتى الهليكوبتر بأقصى سرعتها ،
وبنفس الميل الحاد ..

ومع موجة التخلخل ، التى نشأت من تعارض
الاتجاهين ، فقدت إحدى الطائرتين توازنها ، ومالت
على نحو مخيف ، فصاح قائد الهليكوبتر الثانية فى
غضب :

- اللعنة .. ما الذى يفعله بنا هذا الرجل !؟

استعاد قائد الهليكوبتر الأولى توازنه فى سرعة ،
وجذب عصا القيادة ، ليدور بالهليكوبتر ، هاتفاً ..
- لن نسمح له بأية مبادرة أخرى .. دعنا نطارده ،
وننصفه نسفاً .. وبلا رحمة أو هوادة .

استدار الثانى بطائرته ، وانطلقا جنباً إلى جنب نحو
المنحنى الجبلى القريب ، الذى اختفت خلفه طائرة
(أدهم) ، وأحدهما يقول فى صرامة :

- لن يمكنه الابتعاد كثيراً بطائرة كهذه .. سنلحق
به على الفور ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، برزت الـ (يو - آر - ٣٣)
فجأة ، من ذلك المنحنى الجبلى ، وانقضت عليهما
مباشرة ، فاتسعت عينا قائد الهليكوبتر الأولى ، وهو
يميل بالطائرة فى سرعة ، محاولاً تفادى الاصطدام ،
هاتفاً :

- اللعنة ! ما الذى يفعله هذا المجنون !؟

أما قائد الهليكوبتر الثانية ، فقد جذب عصا القيادة
فى حركة آلية ، للارتفاع بالطائرة ، ولكن (منى)
و (جيهان) برزتا فجأة ، من باب الطائرة المفتوح ،
وأطلقتا رصاصاتهما نحوه ، فى غزارة مخيفة ..

ومال الطيار بالهليكوبتر أكثر وأكثر ، و ...

وارتطمت مروحتها الكبيرة بحافة المنحنى الجبلى ،
فى نفس اللحظة التى ، ارتفعت فيها طائرة (أدهم) ..
وتحطمت مروحة الهليكوبتر فى عنف ، وتطايرت
على نحو مخيف ، قبل أن يرتطم جسم الهليكوبتر
نفسه بالصخور ..

ودوى الانفجار ..

وبينما كان يدور بطائرته ، رأى قائد الهليكوبتر
الثانية ذلك الانفجار ، وشاهد حطام طائرة زميله

يتطاير فى كل مكان ، فى حين تدور الطائرة الصغيرة
حول نفسها ، وتنطلق مرة أخرى نحو ذلك المنحنى
الجبلى ، فصرخ فى غضب :

- اللعنة ! لن تفلتوا منى أبداً .

ودفع عصا القيادة ، لينطلق بأقصى سرعته خلف
طائرة (أدهم) ، وهو يضغط زر إطلاق النار بكل
قوته ..

وانطلقت الرصاصات كالسيل المنهمر ، لتخترق ذيل
طائرة (أدهم) ، على نحو جعلها ترتج فى عنف ،
فصاح (قدرى) :

- رباه ! لقد ظفر بنا .

أجابه (أدهم) فى صرامة ، وهو يرتفع بالطائرة
بغثة :

- ليس بعد .

مالت الطائرة على نحو مخيف ، وهى ترتفع
بزاوية شبه عمودية ، ولكن قائد الهليكوبتر مال
خلفها فى مهارة مدهشة ، وهو يواصل إطلاق النار ،
فهتفت (منى) :

- لو استمر الأمر على هذا المنوال ، سينتهى الأمر
بنا وسط انفجار رهيب .

التقى حاجبا (أدهم) أكثر وأكثر ، وهو يناور
بالطائرة ، بكل ما يمتلكه من مهارة وبراعة وخبرة ،
وبأقصى ما يمكن انتزاعه ، من طائرة بسيطة كهذه ،
ثم صاح :

- (جيهان) .. استخدمى عبوة الوقود الإضافية
فى المؤخرة .

انعقد حاجبا (منى) فى شدة ، فى حين هتفت
(جيهان) فى حماس :
- آه .. فهمت .

قالتها ، وانطلقت نحو مؤخرة الطائرة ، واختطففت
عبوة الوقود الإضافية الضخمة ، وانتزعت غطاءها ،
ثم حشت فوهتها بقطعة كبيرة ، من قماش أحد
المقاعد ، فاتسعت عينا (قدرى) فى ارتياح ، وهو
يهتف :

- ماذا تصنعين !؟

أجابته بنبرة ساخرة ، وهى تشعل النار فى طرف
قطعة القماش :
- قبلة .

تضاعف اتساع عينيه ، وسقط فكه السفلى فى

بلاهة ، وانحبت الكلمات فى حلقه ، فلم يستطع أن
ينطق حرفاً واحداً ، فى حين هتفت (جيهان) ، وهى
تسرع بتلك العبوة ، ذات الطرف المشتعل ، نحو باب
الطائرة :

- هيا يا (بترو) .. سنكرر نفس ما فعلته ، عندما
أطلقنا النار على الهليوكوبتر الأولى .. ستمسك بى
فى قوة ، حتى لا أسقط من الباب المفتوح .

التقط (بترو) العبوة المشتعلة منها ، وهو يقول
فى حزم :

- أعتقد أنه يمكننى أن أفعل ما هو أفضل
يا سنيورا .

ثم فتح باب الطائرة بحركة واحدة ، وأمسك طرفه
بيميناه فى قوة ، وبرز خارجه ، وهو يلوح بالعبوة
المشتعلة بيسراه ، هاتفاً :

- خذها يا قائد الهليوكوبتر .. خذها هدية من
(أومو بيليجروسو) .

كان قائد الهليوكوبتر يواصل إطلاق نيرانه على
الطائرة الصغيرة ، وهو يطاردها فى إصرار ، عندما لمح
ذلك المشهد ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

- رباه ! ما الذى ..
قبل أن يتم عبارته ، ألقى (بترو) العبوة نحوه
بكل قوته ..
واتسعت عينا الطيار ، وقد أدرك طبيعة الموقف ..
وجذب عصا القيادة بكل قوته ..
وارتفعت الهليكوبتر بسرعة ..
وكادت تتفادى الاصطدام ..
والانفجار ..
نقول كادت ..
ولكن عشرة سنتيمترات فحسب صنعت فارقاً كبيراً ..
لقد أصابت العبوة المشتعلة مؤخرة الذيل ، و ...
وانفجرت ..
ومع انفجارها ، طارت المروحة الخلفية
للهليكوبتر ، واشتعلت فيها النيران ، وراحت تدور
حول نفسها فى عنف ، وقائدها يبذل قصارى جهده
للسيطرة عليها ، والهبوط بها فى مكان ما ، قبل أن
تمتد النيران إلى خزان وقودها ، وتنفجر ..
ومن حسن حظه أن نجح فى هذا ، فى اللحظة
الأخيرة ، واتطلق يعدو خارج الهليكوبتر ، التى



ثم فتح باب الطائرة بحركة واحدة ، وأمسك طرفه بيميناه فى
قوة ، وبرز خارجه ، وهو يلوح بالعبوة المشتعلة بيسراه ..

انفجرت خلفه في عنف ، فأطاحت به ثلاثة أمتار
كاملة ، قبل أن يرتطم بالصخور ، ويتدحرج فوقها
بشدة ، ثم يستلقى لاهثاً ، محاولاً التقاط أنفاسه في
صعوبة ، وهو يتابع طائرة (أدهم) ، التي ابتعدت
بأقصى سرعة ، وخلفها خيط من الدخان الأسود ،
جعله يلوح بقبضته في الهواء ، هاتفاً :

- ها .. لقد ظفرت بك .. ظفرت بك ، على الرغم
من كل ما حدث .. ظفرت بك .

هتف بالعبارة ، ثم انطلق يقهقه في عصبية ،
وطائرة (أدهم) تبتعد .

وتبتعد ..

وتبتعد ..

وبداخلها صاحت (منى) :

- الرصاصات أصابتنا في غزارة يا (أدهم) ..

الطائرة لن تحتل طويلاً .

غمغم (أدهم) في صرامة :

- أعلم هذا .

ثم هتف :

- (جيهان) .. هل عثرت على تلك البحيرة !؟

اختطفت الخريطة مرة أخرى ، وهي تقول :

- ما زلت أبحث عنها .

صاح (قدرى) في عصبية :

- ما الذي تريد البحيرة من أجله .. إننى لا أجيد

السباحة !؟

أجابه (أدهم) بنفس صرامته :

- يبدو أنك ستضطر لتعلمها بأقصى سرعة ممكنة

يا صديقى .

هتف (قدرى) مذعوراً :

- ما الذي يعنيه هذا !؟ ما الذي يعنيه !؟

أجابه (أدهم) في سرعة ، وهو ينطلق بالطائرة

على ارتفاع منخفض ، داخل شق جبلى ضيق ،

وعيناه تبحثان عن تلك البحيرة :

- هاتان الطائرتان ليستا آخر المطاف يا (قدرى) ..

ستأتى بعدهما طائرات أخرى ، وأخرى ، ولم يعد

بإمكاننا أن ننجو منها ..

غمغمت (جيهان) :

- الواقع أننا نجونا من طائرتى الهليوكوبتر

السابقتين بمعجزة .

قال (أدهم) فى حزم :

- والمعجزات لا تتكرر كثيراً .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى لمع انعكاساً لضوء القمر
من بعيد ، فهتف :

- رباها ! ها هي ذى البحيرة .. استعدوا للقفز .

جحظت عينا (قدرى) ، وهو يهتف فى رعب :

- القفز !؟

حلت (جيهان) حزام مقعده ، ثم انتزعت منه
بحركة سريعة ، ودفعته نحو باب الطائرة المفتوح ،
وهى تقول ساخرة :

- نعم .. القفز يا عزيزى (قدرى) .. لقد بدأت
دروس السباحة .

صرخ فى رعب :

- لا .. لا يمكننى هذا .. سأغرق حتماً ثم .. ثم إن
الحقيقية وكل ما فيها هنا ، و ...

قاطعه (أدهم) ، وهو يهتف بالبرتغالية :

- (بترو) .. الحقيقية الكبيرة .

اختطف (بترو) الحقيقية الكبيرة فى سرعة ،
والطائرة تنخفض أكثر وأكثر ، وتنقض على البحيرة
الصغيرة ، و (أدهم) يقول بلهجة صارمة أمره :

- استعدوا للقفز جميعاً .

لكزت (جيهان) (قدرى) ، قائلة فى سخرية :

- هيا أيها التلميذ النجيب .. استعد للدرس الأول
فى فن السباحة .

أما (منى) ، فقد تطلعت إلى (أدهم) فى صمت ،
وجسدها كله يرتجف انفعالاً ، وسمعه يهتف ، وهو
يحلّق بالطائرة ، فوق البحيرة مباشرة :

- الآن .

صرخ (قدرى) :

- لا .. سأغرق حتماً .

ولكن (جيهان) دفعته فى قوة ، وهى تهتف
بالبرتغالية :

- (بترو) .. إنه فى رعايتك .

سقط (قدرى) من الطائرة ، وهو يطلق صرخة
رعب رهيبية ، ولكن (بترو) قفز خلفه مباشرة ، فى
حين التفتت (جيهان) إلى (منى) ، قائلة :

- هيا يا (منى) .

دفعتها (منى) فجأة فى قوة ، وهى تقول فى حزم :

- بعدك يا عزيزتى (جيهان) .

فقدت (جيهان) توازنها ، وهوت من الطائرة ،
لترتطم بمياه البحيرة الباردة ، وتغوص فيها لمتر أو
يزيد ، قبل أن تصعد إلى السطح ، وتهتف في حنق :
- لن أغفر هذا لك يا (منى) .. أيتها الـ ...
بترت عبارتها بغتة ، وهي تحدق في الطائرة ،
التي عادت ترتفع مبتعدة ، وقد تواصل ذيل الدخان
الذي تجره خلفها ، وأضيفت إليه بعض أسنة اللهب ،
وهتفت :

- ألم يقفز (أدهم) !؟

وانخفضت عيناها تمسحان البحيرة ، في ضوء
القمر ، ولكن بصرها لم يقع سوى على (قدرى) ،
الذي أخرجه (بترو) إلى السطح ، وهو يهتف في
ارتياح :

- سأغرق .. إننى أجهل السباحة .. سأغرق .

وفي غضب ، أعادت بصرها إلى الطائرة ، صارخة :
- لقد خدعتنى يا (منى) .. هذا ليس عدلاً ..
ليس عدلاً .

في نفس اللحظة ، التي أطلقت فيها هذه الصرخة ،
كان (أدهم) يهتف بـ (منى) ، داخل الطائرة :

- لماذا لم تقفزى معهم !؟

اقتربت منه ، ووضعت كفها على كتفه في حنان ،
وهي تقول في حب :
- عندما لم تحلّ حزام مقعدك ، أدركت أنك لن تقفز
معنا .

قال في توتر :

- هذا أمر طبيعى .. لا بد وأن تنفجر الطائرة في
مكان بعيد عن منطقة الهبوط ، حتى لا يحيط بنا
الجنود ، فور خروجنا من البحيرة .

ابتسمت قائلة :

- أعلم هذا .

ثم مالت تهمس في أذنه :

- ولكنها فرصة نادرة لنعمل معاً وحدنا .. كالأيام
السابقة .

ارتجفت شفثاه لحظة ، ثم لم يلبث أن أدار يده ،
ليلتقط كفها من فوق كتفه ، ويحيطها بأصابعه ، ثم
يضغطها في رفق وحنان ..

ولكن القدر لم يسمح لتلك اللحظة الرومانسية
الرائعة بالاستمرار ..

فمع ارتفاع الطائرة ، ووقوعها في دائرة الرؤية ،
رصدتها إحدى طائرات الهليوكوبتر الحربية ، ضمن
فريق البحث ، فانطلقت نحوها على الفور ، وهتف
قائدها ، غير جهاز اللاسلكي :

- تم العثور على الهدف .. إنه أمامي مباشرة ..
سأتعامل معه على الفور .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط زراً في عصا
القيادة ، فانطلق من الهليوكوبتر صاروخ رفيع ،
انقض مباشرة على الطائرة (يو - آر - ٣٣) ، و ..
ودوى الانفجار في سماء (بوليفيا) ..
وبمنتهى القوة .

★ ★ ★

انتفض جسد (جيهان) في قوة ، مع دوى
الانفجار ، ووجدت نفسها تهتف بلا وعي :
- يا إلهي ! (أدهم) .

كان (قدرى) يضرب الماء بذراعيه في عنف ،
من شدة ذعره ، ولكنه لم يكذب يسمع هتافها حتى
توقف ، وقال في ارتياح :
- (أدهم) !؟

كانت السماء تتوهج كلها بنيران الانفجار ، كما لو

أن الشمس قد أشرقت قبل موعدها بساعة كاملة ،
فعضت (جيهان) شفيتها السفلى في مرارة ، ثم
راحت تسبح في قوة ، نحو شاطئ البحيرة الصغيرة ،
في حين استسلم (قدرى) لـ (بترو) تماماً ، وترك
جسده يطفو على سطح الماء ، وهو يسبل جفنيه ،
ويترك لدموعه العنان ، كأنما لم يعد يعنيه حتى أن
يحيا ، بعد أن فقد صديق عمره الوحيد ..

ولنصف دقيقة تقريباً ، لم يتبادل أحدهم كلمة
واحدة مع الآخر ، حتى بلغوا الشاطئ ، فجلس (قدرى)
عنده يبكي في صمت ، في حين قالت (جيهان) في
غضب :

- لو أن هؤلاء الأوغاد قد قتلوا (أدهم) ، فأقسم أن
يدفعوا الثمن غالياً .

سألها (بترو) في اهتمام :

- ما الذي يقلقك يا سنيورا ؟

التفتت إليه في حدة ، قائلة بالبرتغالية :

- ما الذي يقلقتي؟! قل لي يا رجل ، هل فقدت حاستي
السمع والبصر ، أم أنك فاقد العقل منذ البداية؟! ألم
تر ما حدث؟! لقد نسفوا الطائرة .

قال في سرعة وثقة :

- ولكنهم لم يظفروا بـ (أومو بيليجروسو) بعد .

احتقن وجهها ، وهي تصيح في غضب :

- قلت لك : إنهم قد نسفوا الطائرة .

هز كتفيه في هدوء ، مجيباً :

- بلا شك .. لقد نسفوا الطائرة ... كلنا رأينا وسمعنا

وفهمنا هذا ، ولكن الظفر بـ (أومو بيليجروسو)

أمر مختلف .. إنه مثل الزئبق .. عندما تتصورين

أنك قد أطبقت أصابعك عليه ، يفاجئك بالسخرية منك ،

وهو يحيط عنقك بذراعيه ، ويكاد ينتزع عينيك من

وجهك .

ثم مال نحوها ، متابعاً في ثقة بالغة :

- صدقيني يا سنيورا .. الظفر بـ (أومو

بيليجروسو) ليس سهلاً .. ليس كذلك أبداً ..

قالها ، وتراجع معتدلاً في حزم ، فتطلعت هي إليه

لحظة في صمت ، وخيل إليها أن صورة القمر قد

انعكست على وجهه الأسمر وعينييه الكبيرتين ، فتألفتا

على نحو عجيب ، أقشعر له بدنهما كله ، قبل أن

تلتفت إلى (قدرى) ، قائلة في حزم :

- انهض يا (قدرى) ، وكف عن البكاء .. (أدهم)

لم يمت بعد .

توقف (قدرى) عن البكاء بغتة ، والتفت إليها ،

يسألها في لهفة :

- وكيف عرفت !؟

شدت قامتها ، قائلة في لهجة صارمة :

- لقد أنبأني .

اعتدل يسألها في دهشة :

- من تقصدين !؟

أشارت إلى صدرها ، قائلة في ثقة :

- قلبي .

قالتها ، واستدارت في حزم ، وانتزعت مسدسها

من حزامها ، مستطردة :

- هيا بنا .. لا بد أن نبحث عن مكان آمن

للاختباء ، يمكننا أن نطلّ منه على البحيرة ، حتى

نرى (أدهم) ، عندما يعود .. هيا .

حدق (قدرى) فيها بدهشة ، وانفرجت شفثاه

ليقول شيئاً ما ، ولكن (بترو) هتف فجأة في توتر :

- سنيورا .

استدار إليه (قدرى) و (جيهان) معاً ، ووقع
بصرهما على بقعة الضوء ، التى ظهرت عند المنحنى
الجبلى القريب ، وراحت تتحرك فى سرعة ، ثم تبعها
هدير محرك عدد من سيارات (الجيب) العسكرية ..
وهتفت (جيهان) :

- رباه ! إنهم فى طريقهم إلى هنا .

ثم انطلقت تعدو نحو صخرة كبيرة ، صائحة :
- أسرعوا .. أسرعوا .

حمل (بترو) الحقيقية ، وانطلق يعدو خلفها ،
ولهث (قدرى) فى شدة ، من فرط الانفعال والجهد ،
وهو يدفع جسده إلى الأمام فى صعوبة ، مردداً :
- يا إلهى ! يا إلهى !

كانوا يعدون بكل قوتهم ، نحو تلك الصخرة البعيدة ،
ولكن سيارات (الجيب) العسكرية الثلاث ظهرت عند
المنحنى ، وسطع ضوءها يغمر المنطقة كلها ..
ويغمر أجساد ثلاثتهم أيضاً ..

وفى صرامة ، وبلهجة حازمة أمره ، هتف قائد
فريق المطاردة ، وهو يشير إليهم :

- ها هم أولاء .. لا تسمحوا لهم بالفرار ..

وثبت (جيهان) فى رشاقة نحو الصخرة ، ودارت
حول نفسها فى مرونة ، قبل أن تختفى خلفها ،
واندفع (بترو) بكل قوته ، محاولاً اللحاق بها ..
ولكن (قدرى) لم ينجح فى هذا ..

لقد سمع دوى الرصاصات من خلفه ، وشعر بها
ترتطم بالأرض من حوله ، فطار صوابه من فرط
الذعر ، واختل توازنه ، وسقط على وجهه أرضاً ،
وهو يصرخ :

- لا .. لا .. إبنى أستسلم .

سمعت (جيهان) صرخته ، فبرزت من خلف
الصخرة ، وأطلقت النار نحو السيارات (الجيب)
الثلاثة ، وهى تهتف :

- لا .. لا تستسلم يا (قدرى) .. أسرع إلى هنا ..
سأحمى ظهرك .

أصابت رصاصاتها مصباح إحدى سيارات الجيب
الثلاثة ، وأطاحت بجنديين ، سقطا من السيارة ،
وتدحرجا فى عيف ، ولكن وابلأ من النيران اتها
عليها ، من عشرة مدافع آلية ، انطلقت كلها فى آن
واحد ..

وأخفى (قدرى) رأسه بذراعيه ، وهو يصرخ فى ارتياح ، مع دوى الرصاصات ، الذى غمر المنطقة كلها ، حتى إن جندى الإشارة ، فى إحدى السيارات الثلاث ، اضطر إلى رفع صوته عن آخره ، وهو يهتف :

- لقد عثرنا على الدخلاء .. نريد إمدادات على الفور ، عند الشاطئ الشمالى للبحيرة .

قفز الجنود من سياراتهم ، واندفعوا نحو الصخرة الكبيرة ، ونيرانهم تنطلق نحوها فى غزارة مخيفة ، وانقضّ اثنان منهم على (قدرى) ، وأدارا ذراعيه خلف ظهره ، وهما يغرسان فوهتى مدفعيهما فى جانيبيه ، فصرخ مذعورًا :

- إننى أستسلم .. إننى أستسلم .

أطلقت (جيهان) رصاصاتها مرة أخرى ، وأصابت جنديًا ثالثًا ، ولكن ذخيرتها نفذت عند هذا الحد ، فهتفت فى سخط :

- اللعنة !

أدرك (بترو) ما يحدث ، فخرج من خلف الصخرة ، وهو يحمى جسده بالحقيبة الكبيرة ، واندفع بجسده الضخم ، يطيح بالجنود أمامه ، صارخًا :

- اهربى يا سنيورا .. اهربى .

انطلقت رصاصات الجنود نحوه ، واخترقت الحقيبة ، التى تحوى كل أدوات التزييف والتكر ، ولكنها لم تنجح فى إيقاف (بترو) ، فصاح قائد الجنود :

- أطلقوا النار على ساقيه .

فهم (بترو) العبارة ، فصرخ بعنف :

- اهربى يا سنيورا ، قبل فوات الأوان .

ومع آخر حروف صرخته ، اخترقت إحدى الرصاصات فخذه ، فصرخ فى ألم ، وانطلقت منه زمجرة مخيفة ، ولكن الجنود انقضوا عليه ، وراحوا يضربونه بكعوب مدافعهم الآلية فى عنف ، ولكن قائدهم صاح بهم :

- اتركوا هذا الزنجى لثلاثة منكم فحسب ، والحقوا

بتلك المرأة ، قبل أن تنجح فى الفرار .

كانت (جيهان) تتسلى صخرة أخرى ، ثم تثب خلفها ، وراحت تعدو بأقصى سرعتها ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! لقد فشل كل شيء .. كل شيء ..

برز اثنان من الجنود أمامها فجأة ، وصوبًا إليها فوهتى مدفعيهما الآليين ، وأحدهما يصيح فيها فى صرامة :

- توقفى أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، كانت تثب في الهواء ، في خفة ورشاقة ، ثم تدور حول نفسها كمروحة أفقية ، لتركل المدفع الآلى من يد أحدهما ، ثم تهبط على قدميها ، وتنحنى متفادية رصاصات مدفع الجندي الآخر ، قبل أن تضرب ساقيه بقدمها ، وتسقطه أرضاً ، وهي تهتف :

- لن تظفر بي في سهولة أيها الوغد .

سقط الجندي على ظهره في عنف ، فوثبت تنقض عليه في خفة ، وهوت على فكه بلكمة كالقنبلة ، مستطردة :

- إنني صعبة المنال بحق .

ارتطم رأس الجندي بالأرض الصخرية في عنف ، وفقد وعيه على الفور ، فالتقطت هي مدفعه الآلى في سرعة ، هاتفة :

- وسيدرك رفاقك هذا الآن .

لمحت ظلاً يمتد إلى جوارها ، فالتفت إلى صاحبه في سرعة ، و ...

ولكن فجأة ، هوى كعب مدفع آلى على رأسها بمنتهى القوة ..

وانطلقت رصاصات مدفعها الآلى في الهواء ، واصطبغت الدنيا كلها أمامها بلون أحمر قان ، يشبه لون الدم ، الذي تفجّر من موضع الإصابة ، ولوّث شعرها الأشقر الجميل ، قبل أن تسقط فاقدة الوعي .. وفي حزم ، اقترب منها قائد الجنود ، ودفعها بقدمه في غلظة ؛ ليتأكد من فقداتها الوعي ، ثم انتزع جهاز الاتصال اللاسلكى من حزامه ، وقال في صرامة :

- من الفرقة الثالثة إلى القيادة .. الأمر كله تحت السيطرة .. لقد انتهى أمر الدخلاء .. انتهى تماماً .

وأعاد جهاز اللاسلكى إلى حزامه ، وهو يلقي نظرة أخرى على (جيهان) ، التي راحت الدماء الحمراء تنتشر فوق شعرها الأشقر ..

وتنتشر ..

وتنتشر ..

★ ★ ★

٤ - الأسرى ..

أضينت المصابيح الصغيرة ، فى جناحى الطائرة الخاصة ، التى يستقلها رجل المخابرات الأمريكى (جون ماكلوسكى) وفريقه ، إيداناً باستعدادها للهبوط ، فى مطار (سوكرىه) ، فعقد الرجل حزام مقعده ، وقال لفريقه الصغير فى صرامة :

- من المؤكد أن وصولنا إلى (سوكرىه) ، فى هذه الساعة المبكرة ، سيثير الكثير من التساؤلات ، لدى ضباط الجوازات والجمارك ، وهذا يعنى أنه سيكون هناك تفتيش صارم ودقيق ؛ للتأكد من أننا لا نحمل أية ممنوعات ، ولا نحاول تهريب أى شىء إلى بلادهم .. لا تجعلوا هذا يقلقكم .. كل شىء تم تدبيره وإعداده بمنتهى الدقة ، وسنحصل على كل ما نحتاج إليه من (سوكرىه) نفسها .. مكتبنا هنا دبر الأمر كله ، وسينتظرنا أحد رجاله خارج المطار .
مط (ماسياس) ، رجل القوات الخاصة الضخم الجثة شفتيه ، وهو يغمغم ، فى شىء من السخط :

- هذا يبدو أقرب إلى الرحلات السياحية .

أجابه (ماكلوسكى) فى صرامة :

- هذا لو أنك تتعامل دائماً مع شركة (الجحيم للسياحة) ؛ فالمهمة التى نحن بصددتها ليست بسيطة أو هيئة أبداً أيها السادة .. بل إنكم تواجهون بحق ، أصعب وأعقد ، وأخطر مهمة ، فى حياتكم كلها ، وإلا لما جمعت ثلاثكم معاً ، وصنعت منكم فريقاً خاصاً ، أتولى قيادته بنفسى .. انظروا إلى أنفسكم جيداً .. (ماسياس) ، رجل القوات الخاصة المتميز ، الذى اكتظ ملفه بشهادات التقدير ، وتقارير الامتياز ، و(سيرينا) ، خبيرة قتال الجبال ، التى لا يشق لها غبار .

ابتسمت فتاة شقراء بارزة العضلات ، وقالت فى صوت أجش ، أقرب إلى أصوات الرجال منه إلى أصوات النساء :

- يسعدنى قولك هذا .

تابع (ماكلوسكى) ، وكأنه لم يسمعها :

- وأخيراً (باكنباه) ، أشهر خبراء التفجير والمفرقات ، فى الجيش الأمريكى كله ، والذى يصر

على ارتداء ذلك المنظار الداكن السخيف طوال الوقت ،
ليضفى على مظهره مهابة زائفة ، أو ليخفى عينه
الصناعية ، التي تفسد وسامته .

اتعدد حاجبا (باكنباه) ، وعدل منظاره الداكن فوق
أنفه ، قائلا فى حدة :

- وما شأن هذا بمهمتنا .

لوح (ماكلوسكى) بكفه ، قائلا :

- ليس له أدنى شأن ، ولكنها عبارة اعتراضية ،
لم أستطع منع نفسى من قولها .

ثم اعتدل ، مستطرذا فى صرامة :

- ولكن كل هذا لا قيمة له .. المهم أننا سنهبط بعد
دقيقة واحدة ، فى مطار (سوكرية) ، وسنبدا عمنا
على الفور ، فاستنفروا نشاطكم وقدراتكم ، واستعدوا .

قالت (سيرينا) فى سخرية :

- نستعد لماذا؟! إننا نجهل حتى أين تلك السنيورا ،
وأين تعد مشروعها النووى هذا .

أجابها فى صرامة :

- رجالنا فى (بوليفيا) يبذلون قصارى جهدهم ،
للتوصل إليه الآن .

هزت كتفيها ، قائلة :

- أتعشم أن يفلحوا .

قال فى صرامة أكثر :

- لا بديل لهذا .

قالت ساخرة :

- لمجرد أن هذا ما نتمناه؟!!

قال فى حدة :

- كلاً يا (سيرينا) ، ولكن لأن كل دقيقة تمضى ،

تعنى أن تلك الأفعى قد اقتربت أكثر وأكثر من النجاح ،

وأنها فى سبيلها إلى السيطرة على العالم .. العالم

الذى نعيش فيه جميعاً .. هل يمكنك فهم هذا؟!!

رمقته بنظرة باردة ، قبل أن تشرح بوجهها ، قائلة :

- إلى حد ما .

لم يتبادل أحدهم كلمة واحدة مع غيره بعد كلمتها

هذه ، حتى هبطت الطائرة الخاصة فى مطار

(سوكرية) بالفعل ..

وفى المطار ، تأكد الثلاثة أن قائدهم جم الخبرة ،

بعيد النظر بالفعل ..

لقد تم تفتيش حقائبهم بمنتهى الدقة ، واستجوبهم

رجال الجوازات باهتمام وشك واضحين ، وتوقفوا
طويلاً عند (سيرينا) ، التي لم يرق لهم شكل
عضلاتها البارزة ، التي لم يروا مثلها من قبل قط ..
وأخيراً ، وبعد ساعة كاملة ، غادر الثلاثة المطار ،
وهتف (ماسياس) في حنق :
- يا لها من دولة ! لقد تعاملوا معنا كما لو كنا
مجرد طغمة من الأوغاد .

زمجر (ماكلوسكى) ، قائلاً :

- لا مجال للشكوى .. لقد كنا نتوقع هذا .

قالت (سيرينا) مستنكرة :

- على هذه الصورة !؟

عقد (ماكلوسكى) حاجبيه ، دون أن يجيب ،
وتلفت حوله في اهتمام ، بحثاً عن المندوب ، الذي
سيلتقى بهم ، ثم لم يلبث أن ابتسم ابتسامة باهتة ،
وغمغم :

- ها هو ذا .

قالها ، وهو يلتفت إلى رجل نحيل ، طويل الأنف ،
تقدم نحوهم في خطوات سريعة واسعة ، وصافح
(ماكلوسكى) ، قائلاً :

- مرحباً .. لقد استغرقت وقتاً طويلاً في الدائرة
الجمركية .

قالت (سيرينا) ساخرة :

- هل لاحظت هذا ؟

غمغم (باكنباه) ، وهو يعدل منظاره الداكن فوق
أنفه :

- من الواضح أنه قوى الملاحظة .

لم ترق سخريتها للرجل ، الذي عقد حاجبيه في
ضيق ، وتجاهلها تماماً ، وهو يقول لزميله
(ماكلوسكى) :

- كل شيء معد جيداً .. لقد أحضرت الأسلحة
المطلوبة ، وسيارتى الجيب ، والملابس التي تناسب
الجبال ، وأجهزة اللاسلكى ، والرادار .
سأله (ماكلوسكى) ، وهم يسيرون نحو موقف
السيارات :

- هل توصلتم إلى موقع السنيورا !؟

هز رأسه نفياً ، وقال :

- ليس بعد ، ولكن لدى خير هام .

سأله (ماكلوسكى) ، وهم يدلّفون إلى سيّارته الكبيرة :

- ما هو !؟

أدار الرجل محرك السيارة ، وهو يلتقط صورة كبيرة ويقدمها له ، قائلاً :

- إنهم يوزعونها على كل رجل أمن هنا .

انعقد حاجبا (ماكلوسكى) فى شدة ، وهو يتطلع إلى صورة (أدهم) ، المنسوخة بآلة تصوير مستندات تقليدية ، وغمغم :

- يا إلهى !

سألته (ماسياس) فى اهتمام ، وهو يتطلع إلى الصورة :

- من هذا الرجل ؟

ورفعت (سيرينا) أحد حاجبيها ، قائلة :

- إنه يشبه نجوم السينما .

أما (باكنباه) ، فقد هز رأسه ، قائلاً :

- يخيل إلى أننى قد رأيت هذا الرجل من قبل .

أشار (ماكلوسكى) إلى الصورة ، وهو يقول فى

حزم :

- هذا الرجل هو (أدهم صبرى) .. أخطر رجل

مخابرات فى العالم أجمع .

ابتسمت (سيرينا) قائلة :

- وأكثرهم وسامة .. أليس كذلك !؟

مط (ماسياس) شفثيه فى ازراء ، قائلاً :

- يا للنساء !

وقال (باكنباه) فى لا مبالاة :

- لم أسمع به فى حياتى قط .

تجاهلهم (ماكلوسكى) تماماً ، وهو يسأل الرجل

فى اهتمام بالغ :

- هل علمتم لماذا يوزعون صورته !؟

أجابه الرجل ، وهو ينطلق بالسيارة ، فى شوارع

المدينة :

- المحافظ طلب من رئيس الشرطة توزيع صورته ،

وأخبره أنه إرهابى خطير ، وأنه فى طريقه إلى هنا ،

وكل رجل شرطة ينتظره فى تحفز .

سألته (سيرينا) فى سخرية :

- لست أدري لماذا يثير هذا الرجل اهتمامكم إلى

هذا الحد !؟

أشار (ماكلوسكى) إلى صورة (أدهم) مرة

أخرى ، وهو يقول فى صرامة :

- وجود هذا الرجل ، أو حتى تخوفهم من قدومه
إلى هنا ، هو أقوى دليل على أننا نسير في الاتجاه
الصحيح .

سأله (ماسياس) في اهتمام :

- هل يعمل لحساب السنيورا ؟!

أجابته في سرعة وحزم :

- بل هو الرجل الوحيد ، في العالم أجمع ، الذي
يمكنه مواجهتها .

هتف (باكنباه) معترضاً :

- وماذا عنا ؟!

اعتدل (ماكلوسكى) ، وهو يقول صارماً :

- لو أردنا أن نثبت أننا الأفضل ، فلا بد أن نعمل
بأقصى سرعة وأفضل وسيلة ممكنة ، حتى نظفر بها
قبله .

وبرقت عيناه في شدة ، وهو يضم قبضته ، ويلوح
بها في فراغ السيارة ، مستطرداً بلهجة أدهشتهم
جميعاً :

- هذه هي الوسيلة الوحيدة ، التي نثبت بها أننا
أفضل من (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

تطلّعوا إليه جميعاً في دهشة ، ولاحظوا أن بريق
عينيه يتزايد .

ويتزايد ..

ويتزايد ..

بلا حدود ..

★ ★ ★

لم يكد (أدهم) يلمح تلك الهليوكوبتر الحربية ،
التي برزت في الأفق ، حتى حلّ حزام مقعده ، وهب
منه ، ليختطف يد (منى) ، ويجذبها معه نحو باب
الطائرة المفتوح ، هاتفاً :

- الآن ..

وثباً معاً إلى الأمام ، في توافق مدهش ، وقفزا
عبر باب الطائرة ، وتركما جسديهما يهويان في
الفضاء ، في نفس اللحظة التي أطلق فيها قائد
الهليوكوبتر صاروخه ، و ...

ودوى الانفجار قوياً عنيفاً ، في سماء (بوليفيا) ..
ولكن (منى) لم تبال به ..
إطلاقاً ..

فعلى الرغم من دقة الموقف وصعوبته ، كانت

تشعر كأنها تعيش أسعد لحظات حياتها على الإطلاق ،
وهي تسبح في الهواء مع (أدهم) ، ويدها الرقيقة
بين أصابعه القوية ، التي تمسك بها في حرص ،
وعلى نحو يبعث الدفاء في عروقها ..

والعجيب أنها لم تعد تشعر أنهما يواجهان ذلك
الخطر الرهيب ..

بل شعرت وكأنهما يحلقان معاً في سماء الحب ،
ويهيمنان بها كطائرين سعيدين ، لا ينغص حياتهما
صياد ماهر ، يتربص لهما ببندقيته القوية ..

يكفيهما أنهما عادا يعملان جنباً إلى جنب ..
وعادا يواجهان الخطر معاً ..

يكفيها أنهما وحدهما ..

دون (قدرى) ..

أو (بترو) ..

أو ... (جيهان) ..

« المظلة » ...

انتزعها (أدهم) من هيامها بهذه الصيحة ،
واستطرد في حزم :

- إننا نقرب من الأرض .



وثباً معاً إلى الامام ، في توافق مذهش ، وقفزاً عبْر باب
الطائرة ، وتركاً جسديهما يهويان في الفضاء ..

أسرعت تجذب حبل مظلتها ، التي انتزعتها منه في
عنف ، خاصة أنه لم يبادر بفتح مظلته ، إلا بعد أن
اطمأن إلى أنها بخير ..

وفي نعومة ، هبطت بهما المظلتان في مكان ما بين
الجبال ..

وبينما كانت تلملم مظلتها ، سألته في اهتمام :

- هل تعتقد أنهم قد رأونا ؟!

أجابها في حزم :

- لن يصنع هذا فرقاً ، فهم سيمشطون المنطقة

كلها على أية حال .

سألته في قلق :

- وماذا عن ..

قبل أن تتم سؤالها ، بلغ مسامعهما دوى رصاصات

بعيدة ، فهتفت :

- يا إلهي ! (قدرى) و (جيهان) .

انطلق (أدهم) يعدو نحو مصدر الصوت ، هاتفاً :

- هيا بنا .

لم يكن التحرك وسط تلك الدروب الجبلية سهلاً أو

يسيراً ، ولكنهما راحا يتسلقان الصخور ، أو يقفزان

غيرها ، ويدوران حولها ، مسترشدين بدوى
الرصاصات ، الذي لم يلبث أن توقف ، فقال (أدهم)
في قلق :

- يا إلهي ! ترى لماذا توقف القتال ؟!

غمغمت (منى) :

- أخشى أن ..

لم تستطع إكمال عبارتها ، ولم يرق له أن تفعل ،

فلاذ بالصمت بدوره ، وهما يواصلان انطلاقهما نحو

البحيرة ، وما إن بدت لهما ، حتى انعقد حاجبا (أدهم) ،

وهو يقول :

- يا إلهي ! لقد ...

لم يكمل عبارته بدوره ، وهو يتطلع إلى المكان

الخالي ، الذي تشفى كل لمحة منه على وقوع قتال

عنيف فيه ، ولحقت به (منى) ، لتهتف مذعورة :

- ماذا حدث ؟!

أجابها (أدهم) في توتر :

- لقد دار قتال هنا ، وبعضهم أصيب ، فهناك بقع

دماء في عدة أماكن ، وعديد من مظاريف الطلقات

الفارغة .

سألته في توتر أكثر عنفاً :

- هل تعتقد أنهم قد ...

وتجمد لسانها لحظة ، قبل أن تتابع في عصبية :

- قتلوهم !؟

صمت (أدهم) بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن هز

رأسه ، قائلاً في حزم :

- لست أدري .

قالها ، وتقدم إلى منطقة القتال ، وراح يفحص

أرضيتها في اهتمام بالغ ، قبل أن يعتدل ، قائلاً في

حزم :

- كلاً .. إنهم لم يقتلوهم .. لقد أسروهم .

سألته في دهشة :

- وكيف عرفت !؟

أشار إلى الأثار التي تملأ المكان ، قائلاً :

- انظري .. هذا الموقع المضطرب هناك .. لقد

سقط فيه جسم ثقيل ، وهاجمه رجلان يرتديان أحذية

ثقيلة ، ثم قاداه أمامهما إلى سيارة جيب ، وصاحب

هذا الجسد هو (قدرى) على الأرجح ، لأنه من

الواضح أنه لم يقاتل أو يقاوم ، أما آثار الأقدام الثقيلة

هذه ، فهي لـ (بترو) ، ومن الواضح أنه قد قاتل في

استماتة ، ثم أصيب في مكان ما ؛ لأن بقع الدم قد

امتزجت بآثار أقدام هنا ، وبعدها تكالب عليه الجنود ،

وحملوه معاً إلى نفس السيارة .

سألته في اهتمام :

- وكيف علمت أنهم قد حملوه ولم يدفعوه أمامهم !؟

أجاب في سرعة :

- لأن آثار أقدامهم صارت أكثر عمقاً ، بعد أن

أضيف إليها وزن (بترو) .

ثم استدار يشير إلى نقطة أخرى ، مستطرداً :

- أما (جيهان) ، فقد قاومت بشدة ، واختفت

هناك ، خلف تلك الصخرة الكبيرة .

وتحرك في سرعة نحو الصخرة الكبيرة ، ثم قال

في توتر :

- عدد كبير من الجنود تبعها إلى هناك ، والمنطقة

بعند صخرية ، لن تنطبع عليها آثار الأقدام .

سألته في عصبية :

- هل تشعر بالقلق من أجلها !؟

أجابها في سرعة :

أشار إليها فجأة بالصمت ، وهو يضع سبأبته على
فمه ، فأطبقت شفيتها بحركة آلية ، واقتربت منه ،
هامسة :

- ماذا هناك !؟

أجاب ، وهو يجذبها نحو الصخرة الكبيرة :

- هناك هليوكوبتر أخرى تقترب .

اختبأت معه خلف الصخرة ، وهي تتطلع إلى
السماء في حيرة ، وترهف أذنيها ، في محاولة
لالتقاط أزيز الهليوكوبتر ، و ...

وفجأة ، برزت الهليوكوبتر ، المزودة بكاتم للصوت ،
من خلف الجبل ، وراحت تحوم حول البحيرة ،
ومصباح ضخم في أسفلها يضيء المكان كله ،
فسألته هامسة في دهشة :

- كيف عرفت بأمرها !؟ إبنى لم أسمع شيئاً !

أجابها في حزم ، وهو يتابع الهليوكوبتر ببصره في
اهتمام :

- أنا أيضاً لم أسمع شيئاً ، فمن الواضح أنها مزودة
بكاتم صوت مطاطي ، من أحدث الطرز المعروفة ..
إبنى أسمع حركة دوران مروحتها بصعوبة .

.. بالتأكيد .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف في حزم :

- أليست زميلتي ؟

أجابته في حدة :

- بالطبع .. إنها زميلتك ، التي اعتدت العمل معها ،
حتى إنك كنت تسند إليها العمل طوال الوقت ، وكأنه
لم يعد لي أدنى وجود ، في حياتك كلها .

التفت إليها في بطء ، ورمقها بنظرة طويلة ، ثم
تحرك عائداً إلى موقع القتال ، وهو يقول في صرامة :

- سنناقش هذا فيما بعد .

لحقت به ، وهي تسأله في عصبية :

- ولم لا نناقشه الآن !؟

أجابها في صرامة أكثر :

- لأن الوقت لا يناسب هذا .. لقد أسر البوليفيون
زملائنا ، وينبغي علينا أن نبذل قصارى جهدنا
لتحريرهم أولاً ، ثم نناقش هذه الأمور السخيفة فيما
بعد .

تراجعت كالمصدومة ، وهي تقول :

- أمور سخيفة !؟

تطلعت إليه في دهشة ، فتابع بسرعة :

- لقد رأيت ضوءها وعلمت أنها تتجه نحونا .. لقد انعكس الضوء عن الصخور ، وأضاء السماء .

غمغمت :

- آه .. فهمت .

ثم سألته في اهتمام :

- هل سنختبئ منها طوال الوقت !؟

هز رأسه نقيًا ، وهو يقول :

- كلاً .. لدى خطط أخرى بشأنها ..

سألته في اهتمام :

- وما هي !؟

تطلع إلى الهليوكوبتر لحظة في صمت ، قبل أن

يقول في حزم :

- سأخبرك .

وبينما أخذ يشرح خطته ، كان قائد الهليوكوبتر

يدور بها حول البحيرة ، وهو يقول ، عبر جهاز

الاتصال اللاسلكي :

- كل شيء يبدو هادئًا هنا ، بعد إلقاء القبض على

الجواسيس الثلاثة .. لم يعد أحد إلى البحيرة ، بعد

سقوط تلك الطائرة .. سادور حول المكان مرة أخرى ،
ثم أعود إلى القاعدة .

أغلق جهاز الاتصال ، ودار حول البحيرة مرة
أخرى ، ثم استعد للعودة ، و ...

وفجأة ، لمح (منى) ..

كانت تخرج من خلف الصخرة الضخمة ، وتنطلق
نحوه ، ملوحة بيدها ، وهي تهتف بكلمات لم يفهمها ،
فقال في دهشة وعصبية :

- ما هذا بالضبط !؟

وبحركة تلقائية ، دفع غطاء زر إطلاق النار ، في
أعلى عصا القيادة ، بإبهامه ، ثم ترك الإبهام يستقر
فوقه في تحفز ، وهو يتجه نحو (منى) ، التي
راحت تلوح بيدها ، ثم تشير إلى نقطة بعيدة ، مما
جعله يقول في صرامة ، عبر مكبر الصوت ، المثبت
في قمة الهليوكوبتر :

- من أنت !؟ عرفني نفسك ، قبل أن أطلق النار .

ولكن (منى) ظلت تصرخ بكلمات غير مفهومة ،
وتشير إلى أقصى اليمين في انفعال واضح ، فاقترب
منها أكثر ، والتفت يتطلع إلى اليمين في حذر ، وهو يقول :



كان (أدهم) قد تعلق بالهليوكوبتر بالفعل ، فاختل توازنها بغتة ،
مع الثقل المفاجئ ، ومالت نحو المرتفع الصخري ..

- اللعنة ! ما الذي ...

قبل أن يتم عبارته ، اتسعت عيناه في ذهول تام ،
وهو يحدق في صورة مدهشة ، عكسها ضوء القمر
على الزجاج المجاور له تماماً ..

صورة (أدهم) ، وهو يثب وثبة خرافية ، من
فوق مرتفع صخري ملاصق ..

نحو الهليوكوبتر مباشرة ..

من الجانب الأيسر ..

وقبل أن تزول دهشة الطيار ..

بل ، قبل حتى أن يستوعب تماماً ما يحدث ، كان
(أدهم) قد تعلق بالهليوكوبتر بالفعل ، فاختل توازنها
بغتة ، مع الثقل المفاجئ ، ومالت نحو المرتفع

الصخري ..

ثم اندفعت نحوه بسرعة مخيفة ..

وشهقت (منى) ، هاتفة :

- يا إلهي ! (أدهم) ..

ولكن الطيار البارع سيطر على عصا القيادة في
سرعة ، ومال بالهليوكوبتر في الاتجاه المضاد ،

ليتفادى اصطدام مروحتها بالمرتفع الصخري ، وهو
ينتزع مسدسه من غمده ، قائلاً في حنق :

- يا إلهي ! كيف فعلها هذا الشيطان !؟

كان من سوء حظه أن ذلك الطراز من طائرات الهليوكوبتر ، كان مخصصًا لعمليات الإبرار الجوي ، والتقاط الجنود من المواقع شديدة الخطورة ، أو من وسط حصار محكم ، مما أجبر مصمموه على منحه أبسط وسيلة ممكنة لفتح بابه ، من الداخل أو الخارج ، حتى لا يعجز أي جندي مبتدئ عن القفز داخل الهليوكوبتر ، بأسرع السبل ..

فما بالك برجل مثل (أدهم صبرى) !؟

لقد دفع باب الهليوكوبتر جاتبًا ، ووثب داخلها في خفة مدهشة ، ثم قبض على معصم الطيار ، قبل أن ينتزع مسدسه من غمده ، وقال في سخرية :
- احتفظ به في غمده يا رجل ، فلن تجد فرصة لاستخدامه .

استدار إليه الطيار بحركة حادة ، وضم قبضته في شراسة ، هاتفاً :

- من قال هذا !؟

هوى بقبضته على فك (أدهم) بكل قوته ، ولكن هذا الأخير تفادى اللكمة في خفة مدهشة ، وأدار

ساعده حول عنق الطيار في سرعة ، وهو يلوى ذراعه خلف ظهره ، مجيبًا في صرامة :

- أنا أقول هذا يا رجل .

جحظت عينا الطيار في رعب ، عندما راحت الهليوكوبتر تدور به في المكان عشوائيًا ، و (أدهم) يتجاهل هذا تمامًا ، وصاح مذعورًا :

- ماذا تفعل أيها المجنون !؟ لقد فقدنا السيطرة على الهليوكوبتر ، وسترتطم بأي شيء هنا !

تجاهل (أدهم) عبارته تمامًا ، وهو يسأله :

- أين ذهب الأسرى !؟

هتف الطيار ، وهو يحاول التقاط عصا القيادة بيده اليسرى :

- سنرتطم بالصخور ، وتنفجر الهليوكوبتر يا رجل .
صاح به (أدهم) ، في صرامة مخيفة :

- أين ذهبوا بالأسرى !؟

جحظت عينا الطيار مرة أخرى ، من فرط الألم والذعر معًا ، وكاد يبتلع لسانه ، وهو يهتف بصوت مختنق :

- إلى معسكر (دياز) .. معسكر الجنرال (دياز) .

سأله (أدهم) ، وهو يضغط عنقه فى قوة أكثر :
- وأين معسكر الجنرال (دياز) هذا !؟
أجابه الطيار ، بكل ألم الدنيا وذعرها :
- هناك .. على مسافة عشرة كيلومترات ، جنوب
البحيرة .

سأله (أدهم) ، وهو يكاد ينتزع عنقه بذراعه
القوية :

- ما كلمة السر الليلة ؟

أصدر الطيار صوتاً عجبياً ، وعيناه تحتقان بالدم
على نحو مخيف ، وهو يقول :
- لا .. لا يمكننى أن أخبرك .

صاح به (أدهم) ، وهو يلوى ذراعه خلف ظهره
أكثر وأكثر :

- ما كلمة السر !؟

جحظت عينا الطيار عن آخرهما ، حتى كادتتا تبرزان
من محجريهما ، ولوَّح بيده أمامه فى رعب شديد ،
وهو يقول فى صوت مختنق للغاية ، حتى لتميَّز
كلماته بصعوبة :

- الصخور .. سنصطدم بالصخور .

رفع (أدهم) عينيه إلى الأمام فى سرعة ، ورأى
الهليوكوبتر تتجه نحو الصخور مباشرة ، فأفلت
معصم الطيار ، ومدَّ يده يلتقط عصا القيادة ، وأمالها
فى خفة وسرعة ، فمالت الهليوكوبتر على نحو
مخيف ، ودارت فى اتجاه اليسار ، وتفادت الاصطدام
فى اللحظة الأخيرة ، وانطلقت نحو البحيرة ، وهى
تستعيد توازنها مرة أخرى ، فاتبعت عينا الطيار فى
ذهول ، وغمغم :

- رباه ! إنك تقود الهليوكوبتر فى مهارة مذهلة .
ثم رفع يده ، محاولاً انتزاع مسدسه من غمده مرة
أخرى ، هاتفاً :

- ولكن هذا لن يهزمنى .

لكمه (أدهم) خلف أذنه فى قوة ، وهو يقول
ساخراً :

- من الخطر أن تلهو بالألعاب النارية يا رجل .
شهق الطيار فى ألم ، ودار رأسه فى عنف ،
و (أدهم) يكرّر سؤاله :

- ما كلمة السر !؟ وما ذبذبة الاتصال بمعسكر
الجنرال (دياز) !؟

صاح الطيَّار في ألم :

- (لونا) .. كلمة السر الليلة (لونا) .. وذبذبة
الاتصال هي الموجة (٧٢,٨) ..

حلّ (أدهم) حزام مقعده بحركة سريعة ، ثم
انتزعه منه في قوة ، وألقاه عبر باب الهليوكوبتر ،
هاتفًا :

- هذا كل ما أردت معرفته .

أطلق الطيَّار صرخة زعر ، وهو يهوى من
الهليوكوبتر ، حتى ارتطم بمياه البحيرة ، وغاص فيها
لعدة أمتار ، قبل أن يبرز مرة أخرى على السطح ،
هاتفًا :

- أيها الـ ...

لم يبلغ هاتفه (أدهم) ، الذي انطلق بالهليوكوبتر ،
عائدًا إلى شاطئ البحيرة ، وهبط بها إلى جوار
(منى) ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- هل تبحث أميرتي عن وسيلة مواصلات سريعة؟!
تهللت أساريرها ، واندفعت نحوه ، هاتفًا :

- (أدهم) .. تصوّرت لحظة أنك ..

قاطعها مبتسمًا :

- أنتى ماذا؟!!

أطلقت ضحكة عذبة مرحة ، وهي تقفز داخل
الهليوكوبتر ، قائلة :

- لا عليك .. تخيل أنتى لم أقل شيئًا .

ارتفع بالهليوكوبتر على الفور ، وانطلق بها نحو
الجنوب ، فسألته في اهتمام :

- إلى أين سنذهب؟!!

أجابها في حزم :

- لا بد أن نحرر أسراتنا أولًا .

سألته في قلق :

- وماذا عن الطيَّار ، الذى ألقىته فى البحيرة؟!!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- عندما يصل إلى شاطئ البحيرة ، ويقطع المسافة
إلى أقرب نقطة اتصال ، نكون نحن قد أنهينا عملنا
يا عزيزتى .

سألته فى حذر :

- وما هو عملنا بالضبط؟!!

ابتسم ، قائلاً :

- لقد أخبرتك يا عزيزتى .. سنستعيد أسراتنا .

ثم التقط بوق اللاسلكى ، وأدار الجهاز إلى الموجة
(٧٢،٨) ، قائلاً :

- من القيادة إلى معسكر الجنرال (دياز) .. أريد
التحدث مع القائد شخصياً .. أكرر القائد شخصياً .

أتاه صوت ضابط اللاسلكى ، فى معسكر الجنرال
(دياز) ، وهو يقول :

- عرف نفسك بدقة .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- (برتو لوميو) .. من إدارة التفتيش العسكرى ..
أريد التحدث إلى القائد شخصياً ، وبمنتهى السرعة ..

لاحظ أضواء المعسكر من بعيد ، فاتجه نحوها
مباشرة ، ومضت لحظات من الصمت ، قبل أن يأتيه ،
عبر جهاز الاتصال ، صوت جاف ، يقول :

- هنا الجنرال (دياز) .

أجابه (أدهم) ، وهو يقترب فى سرعة من
المعسكر :

- هنا (برتو لوميو) ، من إدارة التفتيش العسكرى ..
إننى قادم إليكم فى مهمة عاجلة وسرية للغاية ،
وبرفتى سكرتيرة عسكرية .. إننا فى ثياب مدنية ،

ونقود هليوكوبتر حربية ، سنهبط بها عند المعسكر
تماماً .. استعدوا لاستقبالنا .

مضت بضع لحظات من الصمت ، قبل أن يقول
الجنرال (دياز) بصوته الجاف :

- لقد تم رصدكم بالفعل .. نريد كلمة سر الليل .

أجابه (أدهم) فى اقتضاب :

- (لونا) .

مضت لحظات أخرى من الصمت ، بدت أطول من
سابقها بكثير ، قبل أن يقول الجنرال (دياز) بلهجة

صارمة ، زادت من جفاف صوته :

- نحن فى انتظاركم .

ابتسمت (منى) فى ارتياح ، وهى تقول :

- عظيم .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال :

- أتعشّم أن تمضى الأمور على النحو نفسه ، حتى

النهاية .

لم يتبادلا كلمة واحدة بعدها ، حتى بدت تفاصيل

المعسكر ، والهليوكوبتر تقترب منه أكثر وأكثر ،

ولاح لهما أحد الجنود ، وهو يلوح براية بيضاء ،

ليقودهما إلى مهبط الهليوكوبتر ، الذي بدا على شكل
دائرة كبيرة ، في منتصف المعسكر تمامًا ، وعلى
مقربة منه ، وقف رجل ضخم الجثة ، هائل الحجم ،
يرتدى ثياب جنرال ، وحوله مجموعة من الجنود ،
يقف في انتظار هبوط الهليوكوبتر ..

ولسبب ما ، لم تشعر (منى) بالارتياح ..

لا أحد يمكن أن يشرح سبب ما شعرت به ..

ولكنها غرقت في بحر وهمى من القلق ، وهي
تحدق في الجنرال (دياز) العملاق ، و (أدهم)
يهبط بالهليوكوبتر ، في منتصف المهبط تمامًا ..

وعندما وقع بصرها على وجه الجنرال ، تضاعف
إحساسها بالقلق هذا مائة مرة ..

بل ألف مرة ..

أو حتى آلاف المرات ..

ابتسامته الواسعة ، لم تمنحها أدنى شعور بالارتياح ،
حتى إن أصابعها قد انقبضت دون وعي منها ، وكأنها
تتمنى أن تقفز من الهليوكوبتر ، وتندفع نحو الجنرال
بأقصى سرعتها ، وتلكمه في أنفه مباشرة ..

أو في أسنانه الضخمة ، لتجبره على التهام تلك
الابتسامة الصفراء السخيفة ..

ولكن الهليوكوبتر استقرت بالفعل وسط المعسكر ،
وتوقفت مروحتها عن الدوران ، فالتسعت ابتسامة
الجنرال الصفراء ، وهو يقول :

- مرحبًا .. مرحبًا .. أراهن على أنكم هنا بشأن
الأسرى ، الذين أوقعنا بهم عند البحيرة .

أجابته (أدهم) ، وهو يهبط من الهليوكوبتر :

- هذا صحيح يا جنرال (دياز) .

التسعت ابتسامة الجنرال أكثر وأكثر ، قائلاً :

- عظيم .. عظيم ..

ثم مال نحو (أدهم) ، مستطردًا :

- وأراهن أيضًا على أنكما لم تكونا تعلمان ، أن
القائد الحقيقي لهذه الهليوكوبتر ، كان يحمل جهاز
تسجيل محمولاً في جيبه .

قالها ، وتراجع مقهقها في قوة وظفر ..

وشماتة ..

ومع ضحكته ، ارتفعت فوهات عشرات المدافع

الآلية ، نحو (أدهم) و (منى) ..

وعضت (منى) شفتيها في غيظ ، وهي تقول :

- اللعنة ! لقد كان فخا .

امتزج قولها بصوت الجنرال (دياز) الخشن
الجاف ، وهو يضحك ..

ويضحك ..

و ... يضحك .

★ ★ ★



هـ - الموقع ..

« أنت عبقرى بالفعل يا دكتور (محمد) .. »
نطق مدير المخابرات العامة المصرية العبارة ،
وهو يواجه الدكتور (محمد العفيفى) ، خبير
الهندسة النووية ، داخل حجرة الاجتماعات الرئيسية ،
فى مبنى المخابرات ، فابتسم هذا الأخير ، فى شىء
من الخجل ، وهو يقول :

- الواقع أننى ..

لم يستطع إكمال عبارته ، من فرط ارتباكته ،
فابتسم المدير ، وهو يقول :

- ذكاؤك فى تحديد سمات المكان ، الصالح لبناء
مفاعل نووى ، فى قلب جبال (بوليفيا) ، هو الذى
ساعدنا على تحديد المواقع المحتملة لوكر السنيورا .

غمغم الدكتور (محمد) فى ارتباك :

- لم يكن ذلك عسيراً فى الواقع .

أشار إليه المدير ، قائلاً :

- وهنا تكمن العبقرية .

تبادل الرجال نظرة صامتة ، ثم قال أحدهم في اهتمام شديد :

- معذرة يا رفاق ، ولكنني أعتقد أنه ، وعلى الرغم من عبقرية الدكتور (محمد) ، التي نعتزف بها جميعاً ، إلا أن الوقت يمضي في سرعة ، ولم يتم تحديد موقع وكر السنيورا بدقة بعد .

ارتبك الدكتور (محمد) أكثر ، وهو يقول :

- ولكننا ضيقنا دائرة البحث على الأقل .

أجابته الرجل في سرعة :

- هذا صحيح يا دكتور (محمد) ، ولكن ما زال علينا أن نبحث في ثلاث نقاط مختلفة ، وطبقاً لدراساتك واستنتاجاتك ، يمكن أن تمتلك السنيورا قنبلة ذرية محدودة ، خلال ست ساعات على الأكثر ، وهذا يعني أنها تستطيع تفجيرها خلال ثمان أو تسع ساعات .

أشار الدكتور (محمد) بسبابته ، وهو يقول :

- ولكنها ستكون قنبلة ذرية محدودة ، وتأثيرها لن يمتد إلى مسافة كبيرة .

هزَّ الرجل رأسه ، قائلاً :

- تأثيرها؟! إنها قنبلة ذرية يا دكتور (محمد) .. قنبلة ذرية ، بكل ما ينشأ عنها من تأثيرات ضارة ، وسحب إشعاعية ، يمكن أن يدفعها الهواء لمئات الكيلومترات ، فتؤذي آلاف ، بل ملايين الأبرياء ، لزمن لا يعلمه إلا الله (سبحانه وتعالى) .

ثم مال إلى الأمام ، مستطرداً في حزم :

- إننا لم ننس بعد ما حدث في كارثة (تشيرنوبل) (*) .

تراجع الدكتور (محمد العفيفي) في مقعده ، وقلب كفيه ، قائلاً :

- لقد بذلت قصارى جهدي في الواقع .

أشار الرجل بيده ، قائلاً في حزم :

- لا أحد يمكنه إنكار هذا .

ثم نهض إلى خريطة (بوليفيا) الكبيرة ، متابِعاً في اهتمام ، يكاد يبلغ حد الحماس :

(*) بسبب خطأ ناشئ عن إهمال جسيم ، تسربت الأشعة من مفاعل نووي تجريبي ، في مدينة (تشيرنوبل) الروسية ، مما أدى إلى حدوث انفجار محدود ، تلوثت إثره منطقة هائلة بالإشعاعات ، التي نقلتها الرياح والسحب لآلاف الكيلومترات .

- ولكن الأمر يحتاج إلى تحديد أكثر ، وإلا ضاع الوقت كله ، دون أن ننجز شيئاً .. انظروا أيها السادة ..
ها هي ذى المواقع الثلاثة ، التي تم تحديدها ، وفي رأي أن السنيورا لن تضع وكرها بالقرب من العاصمة (سوكرية) ، لأن هذه هي النقطة ، التي سيتم تكثيف البحث عندها كالمعتاد ، باعتبارها العاصمة الرسمية للبلاد .. ولن تبني الوكر بالقرب من (لاباز) أيضاً ، لأنها المركز التجاري الأول للبلاد .. بل ربما (أمريكا الجنوبية) كلها ، وهذا يعنى أن خطوط المواصلات ستكون كثيفة للغاية حولها ، وستكون هناك سيارات ، وقطارات ، وطائرات ، تمضى منها وإليها طوال الوقت ، مع حركة التجارة النشطة فيها ، مما يعرض أمر الوكر لخطر دائم ، ولاحتمالات لا حصر لها ، فى أن يتم كشفه مصادفة ، حتى ولو تم صنعه بعيداً عن خطوط المواصلات الأساسية أو الرسمية .
والتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يشير فى حزم إلى الموقع الأخير ، مضيفاً :
- لا يتبقى لنا إذن إلا هذا الموقع الأخير ، بالقرب من فيلا مونتر .

والتفت إليهم بكيانه كله ، مضيفاً فى ثقة :
- ولو أردتم رأيى ، فهنا يكمن وكر السنيورا ..
وهنا بنت مفاعلها النووى .
ران على المكان صمت مهيب ، بعد أن انتهى رجل المخابرات من حديثه ، ثم لم يلبث الدكتور (محمد) أن خلع منظاره الطبى ، وهو يقول مبهوراً :
- وتقولون إننى أنا العبقرى !!؟
نسفت عبارته ذلك الصمت والسكون نسفاً ، فلم يكذب ينتهى منها ، حتى اعتدل المدير فى مقعده ، وقال فى حزم :
- أبلغوا (ن - ١) على الفور ..
ارتفع حاجبا الدكتور (محمد العفيفى) فى دهشة بالغة ، عندما استحال المكان بغتة إلى كتلة من النشاط والحركة ، فاندفع ثلاثة من الرجال يراجعون خريطة (بوليفيا) ، ويناقشون نظرية زميلهم فى حماس ، وغادر اثنان آخران الحجر فى سرعة مذهشة ، واتهمك آخر فى عدة أحاديث هاتفية قصيرة ، فى حين غادر المدير مقعده ، وأمسك هاتفاً لاسلكياً صغيراً ، راح يهمس عبره بحديث ما ، عند ركن القاعة ، و ...

« سيدي .. يبدو أنه لن يمكننا العثور على سيادة
العميد (أدهم) ، في الوقت الحالي .. »
انطلق هذا القول كالتنبؤ ، في قاعة الاجتماعات ،
فران عليها صمت رهيب مباغت ، والتفت كل من
فيها ، بلا استثناء ، إلى الزميل الذي نطق العبارة ،
والذي أدار عينيه في وجوههم ، قبل أن يتابع :
- لقد تدهور الموقف في (بوليفيا) .. تدهور بشدة .
وعلى الرغم من الصمت ، الذي تواصل في المكان ،
بعد أن أنهى الرجل عبارته ، فقد بدا وكأن الجميع قد
تلقوا صفحة ..
صفحة قوية ..
للغاية ..

★ ★ ★

أنهى مندوب المخابرات الأمريكية في (بوليفيا)
محادثة هاتفية قصيرة ، ثم التفت إلى (ماكلوسكي) ،
قائلاً في اهتمام :

- عميلنا في الحكومة البوليفية يقول : إن قوات
الحدود قد ألقت القبض على بعض الجواسيس ، الذين
حاولوا التسلل إلى البلاد ، بواسطة طائرة صغيرة .

اعتدل (ماكلوسكي) يسأله :
- وماذا عن (أدهم) !؟
أشار المندوب بسبابته ، قائلاً :

- عميلنا يقول : إنه أحد الذين تم إلقاء القبض
عليهم ، فقد تم نقل صورته ، عبر الفاكس ، إلى كل
وحدات حرس الحدود ، ولا ريب في أنهم قد تعرفوه
على الفور .

ابتسمت (سيرينا) في سخرية ، قائلة :
- ها هو ذا أسطورتكم يسقط ، عند أول احتكاك .
انعقد حاجبا (ماكلوسكي) في شدة ، وهو يقول :
- الرجل ليس بهذه البساطة يا (سيرينا) .
لوح (باكنباه) بيده ، قائلاً :
- ولكنه وقع بالفعل .

ازداد انعقاد حاجبي (ماكلوسكي) ، وغمغم :
- الأمور لم تنته بعد أيها السادة .
ثم اعتدل في مجلسه ، مستطرذاً في حزم :
- ولكن هذا يمنحنا فرصة للتفوق على الأقل .
قالها ، ونهض من مقعده ، مضيفاً :
- ما نتائج آخر بحث ، حول موقع السنيورا !؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- رجالنا لم ينجحوا في التوصل إلى موقعها أبدًا .

أطلَّ غضب صارم من عيني (ماكلوسكى) ،

فاستدرك الرجل في سرعة :

- ولكنهم توصلوا إلى معلومات أخرى ، بالغة

الأهمية والخطورة .

سأله (ماكلوسكى) في صرامة :

- مثل ماذا !؟

أجابه في سرعة :

- المحافظ (نواريه) يعمل لحسابها .

ارتفع حاجبا (سيرينا) في دهشة ، قبل أن تقول

في سخرية :

- آه .. اللعبة التقليدية .

أشار إليها (ماكلوسكى) بالصمت ، وهو يسأل

الرجل في اهتمام :

- أديكم دليل على هذا !؟

أجابه الرجل في سرعة :

- بالطبع يا مستر (ماكلوسكى) .. أنت تعلم أننا

قد زرنا بعض أجهزة التنصت هنا ، وبوساطتها

أمكنا تسجيل محادثة هاتفية ، بينه وبين السنيورا ،

تأمره فيها بشن حملة ضد رجل المخابرات المصري .

تألقت عينا (ماكلوسكى) ، وهو يقول :

- عظيم .. هذا يصنع فارقا ضخما .

وعدل رباط عنقه ، قبل أن يلتفت إلى رجاله ، قائلاً :

- الأفضل أن ترتدوا زى العمل ، وتستعدوا للقتال

يا رجال ، فسنبلغ الهدف بعد أقل من ساعة واحدة .

غمغمت (سيرينا) في اهتمام :

- ساعة واحدة !؟

ارتسمت ابتسامة واثقة ، على شفתי (ماكلوسكى) ،

وهو يقول :

- نعم يا عزيزتى (سيرينا) .. بعد ساعة واحدة ،

عندما أنتهى من لقائى بالمحافظ الهمام للعاصمة ..

واتسعت ابتسامته ، وتسأللت إليها لمحة ساخرة ،

وهو يضيف :

- أو بمعنى أدق .. بعد أن أنتهى من أمر المحافظ

نفسه .

تطلع إليه الجميع فى تساؤل ، ولكنه لم يمنحهم أى

جواب ..

فقط راحت ابتسامته الواثقة الساخرة تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

★ ★ ★

هو قلب (قدرى) بين قدميه ، عندما وقع بصره
على جنود معسكر الجنرال (دياز) ، وهم يدفعون
(أدهم) و (منى) ، داخل حجرة التحقيقات الواسعة ،
التي يقف فيها ، مع (جيهان) و (بترو) ، وهتف
في يأس وأسى :

- يا إلهى ! لقد أوقعوا بكما أيضاً .

أدهشه أن ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

- إنه نوع من التجديد يا صديقى .

انعقد حاجبا (جيهان) ، ورمقت (منى) بنظرة

محنقة ، وهى تغمغم :

- أخشى أن يكون التجديد هنا نهائياً .

صاح بهما ضابط التحقيقات فى صرامة :

- اصمتوا .. كلمة واحدة إضافية ، ونطلق النار

عليكم دون مناقشة .

أدار (أدهم) عينيه فى المكان فى سرعة ، وأحصى

سبعة من الجنود ، يصوبون إليهم مدافعهم الآلية ،
بالإضافة إلى ضابط التحقيقات ، والجنرال (دياز) ،
الذى دلف بحجمه الضخم إلى الحجرة ، وقال فى
خشونة ساخرة :

- لم أكن أتصور أن إلقاء القبض عليكم سيكون
سهلاً إلى هذا الحد !! لقد أخبرونا أنكم غاية فى
الخطورة .

قال (أدهم) بالأسبانية فى سخرية :

- ربما كانوا على حق .

صاح به الضابط فى صرامة :

- اصمت .. لا تتحدث إلا عندما يوجه إليك سؤال .

تمتم (أدهم) :

- هذا أفضل بالتأكيد .

التفت الضابط إلى الجنرال (دياز) ، قائلاً :

- هل ترغب فى استجوابهم بنفسك يا سيدي

الجنرال !؟

هزّ الجنرال كتفيه الضخمتين ، قبل أن يقول فى

خشونة :

- سؤالان أو ثلاثة فحسب .

ثم التفت إليهم ، ورمقهم بنظرة صارمة شرسة ،
قبل أن يسأل ، بصوته الخشن الجاف :
- لماذا حاولتم التسلل إلى بلادنا؟! أنتم لستم من
تجار أو مهربي المخدرات ، فما الذي دفعكم إلى هنا؟!
قال (أدهم) في هدوء :
- كنا نفر من (البرازيل) ، ولم نجد مكاناً أفضل
من هذا .

سأله الجنرال في حدة :

- ولماذا كنتم تفرّون من هناك؟!

هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

- الاضطهاد السياسي .

تراجع الجنرال في دهشة ، مردداً :

- الاضطهاد السياسي؟!

ثم انعقد حاجباه الكثبان في شدة ، وهو يقول :

- هل تسخر مني يا رجل؟! لا أحد يعانى الاضطهاد

السياسي في (البرازيل) أبداً ..

اندفعت (جيهان) تقول في عصبية :

- ربما هرعنا إلى هنا ، لنرى وجهك الوسيم .

هبّ الجنرال من مقعده في غضب ، وتوتر الموقف

كله دفعة واحدة ، فقال (أدهم) في سرعة :

- إنها لم تكن تقصد هذا .

اندفع الجنرال بجسده الهائل نحو (جيهان) فجأة ،

وهو يقول :

- بل هي امرأة وقحة .

قالها ، وهوى بكفه الضخم على وجه (جيهان)

بصفعة قوية ، دفعتها إلى الخلف في عنف ، فشهقت

(منى) في هلع ، وانعقد حاجبا (أدهم) في شدة ،

وهو يقول بالعربية :

- أيها الوغد .

تراجع الجنرال في سرعة إلى مقعده ، في حين

صوّب جنوده فوهات مدافعهم الآلية إلى الجميع ، في

تحفز شرس ، وهتف ضابط الاستجواب في صرامة :

- الجنود سيطلقون النار ، عند أول حركة .

اعتدلت (جيهان) ، قائلة في غضب :

- أقسم أن تدفع ثمن هذه الصفعة غالياً .

ابتسم الجنرال في سخرية ، في حين صاح بها

الضابط :

- اصمتي يا امرأة ، وإلا قطعنا لسانك هذا .

همتت بقول شيء آخر ، ولكن (أدهم) قال بالعربية

في صرامة :

- اصمتى يا (جيهان) .

قالت فى عصبية :

- هل رأيت ما فعله هذا الوغد !؟

أجابها فى حزم :

- نعم .. رأيت .. وكما قلت .. سيدفع ثمن هذه

الصفعة غالباً .

صاح الضابط فى حدة ، وهو ينتزع مسدسه من

غمده :

- قلت : اصمتوا .. وإياكم أن تتحدثوا مرة أخرى

بلغة غير مفهومة .

اتسعت ابتسامة الجنرال الواثقة ، ونهض من

مقعده ، يفتح حقيبة (قدرى) الكبيرة ، ثم أشار إلى

محتوياتها ، وهو يسأل فى صرامة :

- ما هذه الأشياء بالضبط !؟

بدا الأسى على وجه (قدرى) ، عندما رأى أدواته ،

التي أفسدتها الرصاصات ، التي استقبلها (بترو) ،

عندما كان يحمى جسده بالحقيبة ، فى حين قال

(أدهم) فى هدوء :

- إنها بعض المواد الضرورية .

قال الجنرال فى سخرية خشنة :

- مواد ضرورية؟! جوازات سفر ، وصور ضوئية ،

وأختام ، وبعض المطاط السائل ، والألوان الزيتية أو

ما شابه ! أية مواد ضرورية هذه !؟

اعتدل (أدهم) فى وقفته ، وأدار عينيه فى الجنود

السبعة فى بطء ، قبل أن يجيب فى حزم :

- إنها ضرورية ، للخروج من المواقف الصعبة .

لم تكذب (منى) و (جيهان) تسمعان عبارته ،

حتى اعتدلتا فى وقفتهما بدوريهما ، وأطلّ من عيونهما

شياء من التحفز ، والجنرال يقول فى غضب شرس :

- إياك والسخرية منى ثانية يا رجل .. كيف يمكن

لمواد كهذه أن تخرجكم من المواقف الصعبة !؟

رفع (أدهم) يده ، وثنى خنصره وإبهامه ، وهو

يقول :

- هناك ثلاث وسائل لهذا .

سأله الجنرال فى اهتمام عصبى :

- وما هى !؟

ثنى (أدهم) أصابعه الثلاثة فى تعاقب سريع ، وهو

يقول :

- واحد .. اثنان .. ثلاثة .

لم يكد ينتهى من نطق الرقم الأخير ، حتى تحرك
فجأة ، هو و (منى) و (جيهان) ، فى آن واحد ..
وانقضوا على الجميع ..

وقبل حتى أن يستوعب الجنود السبعة ، وضابطهم ،
وجنرالهم الضخم الموقف ، كان (أدهم) قد هتّم
أنف أولهم بلكمة ساحقة ، وحطّم أسنان الثاى بأخرى ،
ثم دار حول نفسه ، وركل الثالث فى معدته ،
واختطف مدفعه الآلى من يده ، وهوى بكعبه على
مؤخرة عنقه ، قبل أن يستدير ليلصق فوهته بكرش
الجنرال الضخم ، ويبتسم فى سخرية ، قائلاً :

- هل تعتقد أن وزنك سينخفض ، لو ثقبنا هذا
البالون الكبير .

وفى نفس الثانية ، التى حدث فيها كل هذا ، كانت
(جيهان) قد وثبت وثبة مدهشة ، دارت خلالها حول
نفسها كالمروحة ، قبل أن تركل اثنين من الجنود ،
فى فكيهما ، ثم تهبط على قدميها ، وتلكم الثالث فى
أنفه مباشرة لكمة كالقنبلة ، تعاود الدوران بعدها ،
لتركل أحد الجنديين السابقين فى أنفه ، وتكرّر ركلتها
للثانى فى فكه ..

أما (منى) ، فقد انقضت على الضابط ، وركلت
مسدسه ، ثم وثبت تركله فى أنفه وفمه ركلتين
متعاقبتين ، و ...

ولكن الجندى المتبقى أدار فوهة مدفعه الآلى
نحوها ، هاتفاً :
- أيتها الـ ...

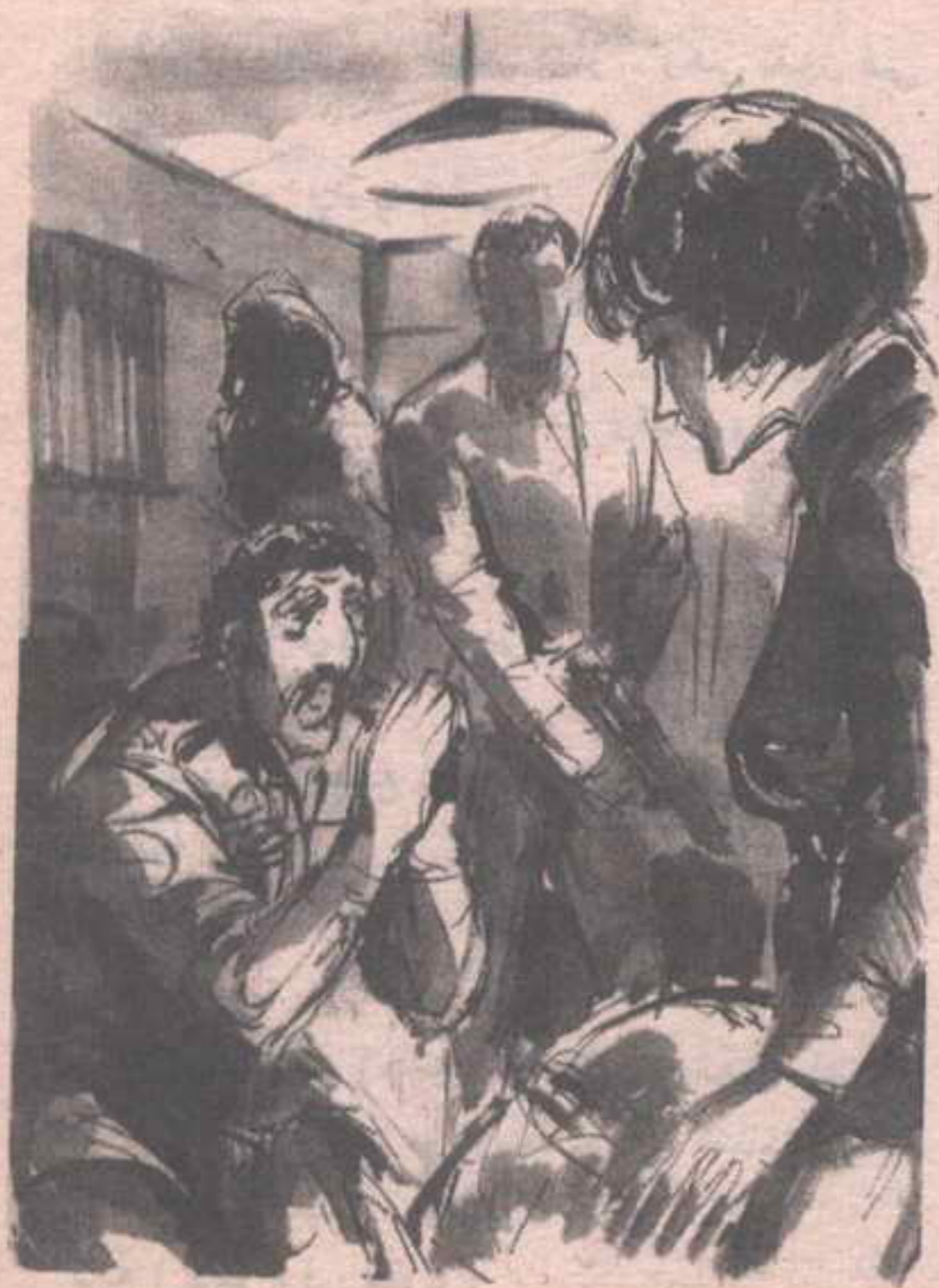
قبل أن يتم عبارته ، كانت قبضة (بترو) تهوى
على عنقه كمطرقة هائلة من الصلب ، فشهب بشدة ،
وجحظت عيناه عن آخرهما ، وهوى أرضاً ، إلى
جوار رفاقه ..

واتسعت عينا الجنرال (دياز) عن آخرهما ، فى
رعب هائل ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) ، الذى
قال ساخرًا :

- أعتقد أنك تشعر بكثير من الأسى أيها الوغد ..
هل ترغب فى اللحاق برجالك .

احتقن وجه الجنرال فى شدة ، وارتجفت شفاته ،
وهو يهمهم بكلمة ما ، فقال (أدهم) ساخرًا :

- ارفع صوتك قليلاً أيها الوغد .. إننا لا نسمعك .
ارتجفت الكلمات على شفتى الرجل ، وهو يقول :



ثم سقط من مقعده ، وجثا على ركبتيه امامها ..

- ال ... الرحمة .

التفت (أدهم) إلى (جيهان) ، قائلاً :

- إنه رهن إشارتك .. ما الذي ترغبين في فعله

به ؟!

اقتربت (جيهان) من الجنرال في صرامة ، وانعقد حاجباها في شدة ، على نحو ارتجف له الرجل ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يقول في ضراعة :

- الرحمة يا سيدي .. الرحمة .

ثم سقط من مقعده ، وجثا على ركبتيه امامها ، وتفجرت الدموع من عينيه ، على نحو لا يتفق مع ضخامته الهائلة ، وهو يقول باكياً :

- إنني أعتذر عن تلك الصفة .. أعتذر عنها ألف

مرة .. الرحمة يا سيدي .. لا تقتليني .. أرجوك .. لا أريد أن أموت .

قلبت (منى) شفيتها في ازدياء ، وهي تقول :

- يا لك من وغد جبان !

أما (أدهم) ، فقد سأل (جيهان) مرة أخرى ،

في اهتمام واضح :

- ما الذي ستفعلينه به !؟

انعقد حاجباها في غضب أكثر ، وهي تقول في صرامة :

- ما علمتني إياه يا (أدهم) .

ثم شدت قامتها ، مستطردة في حزم :

- العفو عند المقدرة .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ارتياح وإعجاب ، وهو يغمغم :

- أحسنت .

بدا الضيق على وجه (منى) ، وهي تتمم :

- يا للخبيثة !

وفي هدوء ، تطلع (أدهم) إلى الجنرال ، قائلاً بالأسبانية :

- هل رأيت كرم هذه الفتاة الرائعة .. لقد عفت عنك .

حدق الجنرال في وجهها ذاهلاً ، ثم انهار يلصق جبهته بالأرض ، هاتفاً من وسط دموعه الساخنة :

- أشكرك يا سيدي .. أشكرك كثيراً .

تابع (أدهم) في هدوء :

- ولكن الموقف يحتم فقدانك الوعي .

رفع الجنرال رأسه ، قائلاً في دهشة مذعورة :

- ماذا !؟

التفت (أدهم) إلى (جيهان) ، قائلاً :

- (جيهان) .

اختطفت أحد المدافع الآلية ، وهي تقول في حرارة :

- إنه لمن دواعي سعادتي .

وهوت بكعب المدفع على رأس الجنرال (دياز) ،

الذي جحظت عيناه على نحو عجيب ، قبل أن يسقط

عند قدميها فاقد الوعي ..

ولثانية أو ثانيتين ، ران على المكان صمت رهيب ،

قطعه (قدرى) ، وهو يغمغم :

- رباه ! لقد تعقدت الأمور أكثر .

التفت إليه (أدهم) ، قائلاً في استنكار :

- تعقدت !؟

أجابه في عصبية :

- بالطبع .. صحيح أنكم أفقدتم كل من بالحجرة

وعيهم ، ولكن هناك أكثر من خمسين جندياً مسلحاً

في الخارج ، نصفهم على الأقل سيطلقون النار علينا ،

فور خروجنا من هنا .

أطلت نظرة حذرة ، حائرة ، متسائلة ، من عيني
المحافظ (نواريه) ، وهو ينهض من خلف مكتبه ،
ليستقبل (ماكلوسكى) ، قائلاً :
- مرحباً بك فى مكتبى ، يا مندوب الحكومة
الأمريكية .. إنه ليدهشنى فى الواقع أن تأتى لزيارتى ،
مع مطلع الفجر ، وكأنك تعلم أنى ، وبصفة استثنائية
بحة ، قضيت نصف ليلتى هنا .
ابتسم (ماكلوسكى) ابتسامة صفراء ، لم ترق
أبدأ للمحافظ ، وهو يقول :
- الواقع أنى أعلم الكثير يا سيدى المحافظ .
التقى حاجباً المحافظ فى قلق ، مع هذا القول ،
الذى يحتمل عشرات المعانى ، وتطلع إلى وجه
(ماكلوسكى) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يشير
إليه بالحلوس ، قائلاً فى مزيد من الحذر والتوتر :
- تفضل يا مستر (ماكلوسكى) .. أراهن على أنه
لديك الكثير لتقوله ، بعد هذه المقدمة المدروسة ،
التي تحاول التأثير بها على مشاعرى .
ابتسم (ماكلوسكى) فى سخرية ، وقال :
- التأثير عليك ؟! خطأ أيها المحافظ .. إنها مقدمة

قالت (جيهان) فى صرامة :
- لا تنس أن لدينا سبعة مدافع آلية هنا .
لوح بذراعيه ، قائلاً فى عصبية أكثر :
- عظيم .. رائع .. سبعة مدافع آلية هنا ، وخمسون
مدفعاً بالخارج .. إنك ترسمين صورة جميلة للمذابح
الرهيبية يا عزيزتى (جيهان) .. أراهن أن على دوى
الرصاصات سيبلغ مسامعهم فى (القاهرة) ، حتى
يمكنهم إرسال برقيات عزاء لنصفنا على الأقل .
أشار (أدهم) بسبابته ، وهو يقول :
- خطأ يا عزيزى (قدرى) .. إننا سنخرج من
هذا المكان ، دون أن تراق قطرة دم واحدة .
سأله (قدرى) فى دهشة :
- وكيف يمكننا هذا ؟!
ابتسم (أدهم) ، وهو يلقي نظرة على الجنرال
(دياز) الفاقد الوعى ، ثم قال :
- سترى يا صديقى .. سترى .
وانعقد حاجباً (قدرى) فى توتر ، فقد بدت له
ابتسامة (أدهم) غامضة ..
غامضة للغاية ..

بسيطة ، أما التأثير عليك ، فربما يبدأ مع الجملة التالية .

ومال إلى الأمام ، مستطرذاً في حزم :

- إننى أعمل لحساب المخابرات المركزية الأمريكية .
تراجع المحافظ بحركة حادة ، وسرت في جسده
قشعريرة عجيبة ، قبل أن يتمالك نفسه ، ويلتقط
أنفاسه في توتر ، قائلاً :

- نصف الأمريكيين كذلك .

أطلق (ماكلوسكى) ضحكة ساخرة قصيرة ، ثم
هز رأسه ، وقال :

- رقم مبالغ فيه للغاية ، ولكنه يروق لى ؛ لذا
فسأتجاوز عبارتك ، وأقول : إننى ضابط فى
المخابرات الأمريكية ، وإننى هنا فى مهمة رسمية .

اتسعت عيناه المحافظ ، وهو يردد :

- مهمة رسمية !؟

نهض (ماكلوسكى) من مقعده ، وأخرج من جيبه
شريط تسجيل صغيراً ، قائلاً :

- دعنا نستمع إلى هذا أولاً ، ثم نتحدث فيما أتيت
بشأنه .

التقى حاجباً المحافظ فى توتر ، وهو يتابع
(ماكلوسكى) بعينيه ، فى حين اتجه هذا الأخير إلى
جهاز استماع صغير ، دس فيه الشريط ، ثم ضغط زر
التشغيل ، واستدار يواجه المحافظ ، ويعقد ساعديه
أمام صدره ..

وتصاعد توتر المحافظ ، وهو ينتظر اتبعث
الصوت من جهاز الاستماع ، ولكنه لم يكذ يستمع إلى
ما بثه الجهاز ، حتى انتفض جسده فى عنف ،
واتسعت عيناه عن آخرهما ، وخفق قلبه فى قوة ،
قبل أن يهوى منسحقاً بين قدميه ..

ففى وضوح شديد ، وبصوت لا يمكن أن تخطئه
الأذن ، سمع المحافظ حديثه مع السنيورا ، عندما
أمرته باتخاذ كل الإجراءات الممكنة ، لمطاردة
(أدهم) ، وإلقاء القبض عليه .

وجحظت عيناه فى ارتياح ، عندما وصل الحديث
إلى تلك الفقرة ، التى تشير فيها السنيورا إلى
ما تقاضاه ويتقاضاه منها من أموال ..

وانهار المحافظ تماماً ..

كان هذا الشريط كفيلاً بهدم مستقبله كله ..
بلا هوادة ..

أما (ماكلوسكى) ، فقد ظل صامتًا ، ساخرًا ،
شامتًا ، حتى انتهى الحديث ، فأغلق جهاز الاستماع ،
والتقط منه الشريط ، وألقاه في جيبه ، قائلاً :
- والآن ، أعتقد أن حديثنا سيكون ممتعًا أيها
المحافظ .

بدا صوت المحافظ أقرب إلى النحيب ، وهو يقول :
- ماذا تريد ، ثمناً لهذا الشريط ؟!
أجابه (ماكلوسكى) في حزم :
- بعض المعلومات .
رفع المحافظ عينيه إليه ، قائلاً :
- مثل ماذا ؟!

رمقه (ماكلوسكى) بنظرة صارمة طويلة ، ثم
اتجه إليه في ببطء ، ومال بجسده ، ليستند إلى سطح
مكتبه براحتيه ، ويتطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :
- أين أجد السنيورا ؟!

لم يكذ (ماكلوسكى) ينطق اسمها ، حتى أدرك
على الفور مدى قوتها وسطوتها ، في هذه المنطقة
على الأقل ..

لقد انتفض جسد المحافظ في قوة ، واتسعت عيناه

عن آخرهما في زعر بلا حدود ، وتراجع بمقعده في
حركة حادة ، كاد يسقط معها أرضًا ، وهو يطلق
شهقة فزع قوية ، قبل أن يهتف :
- لا .. لا يمكنني أبدًا أن أخبرك .

اختطف (ماكلوسكى) فتاحة الخطابات ، من سطح
المكتب ، وغرس طرفها في عنق المحافظ ، وهو
يقول في صرامة :

- بل ستخبرني أيها المحافظ .. ستخبرني وإلا
قضيت على مستقبلك كله .

تأوّه (نواريه) في ألم ، وسال خيط من الدم ، من
الموضع الذي انغرس فيه طرف فتاحة الخطابات ،
على عنقه كله ، وهو يقول في عصبية :

- ربما يمكنك القضاء على مستقبلي ، ولكنها
تستطيع القضاء على حياتي كلها .

غرس (ماكلوسكى) جزءًا آخر من فتاحة
الخطابات ، في عنق المحافظ ، وهو يقول :

- ومن قال : إنني لن أفعل ؟! سنتيمتر آخر ،
وأقطع وريدك العنقي ، ثم أتركك تنزف حتى تموت .
ارتجف المحافظ في قوة ، وهتف في زعر وألم :

- ألا تدرك ما تفعله يا رجل !؟ إتني المحافظ .

أجابه (ماكلوسكى) فى شراسة :

- وأنا رجل لا يؤمن سوى بالانتصار ، مهما كان الثمن ، وسواء عندى أن أقطع عنق محافظ ، أو عنق متسول .. المهم أن أظفر بما أريد .

كاد المحافظ يبكى ، وهو يقول :

- أنت لا تعرفها .. إن قاموسها لا يحوى كلمة (الرحمة) .. إنهم يقولون : إنها وُلدت بلا قلب .

قال (ماكلوسكى) فى حدة :

- أخبرنى أين هى ، وسأجعلها بلا قلب فعلياً .. سأنتزع قلبها من صدرها ، بعد أن أجزّ عنقها بلا رحمة .

قاوم المحافظ فى عنف ، وهو يقول :

- لا .. لا يمكننى .

لكمه (ماكلوسكى) فى أنفه بعنف ، وتراجع بقبضته الملوثة بالدم ، قائلاً :

- اسمع يا رجل .. من الواضح أنك لا تدرك خطورة الأمر وحساسيته .. تلك اللعينة تستعد لإنتاج قنابل ذرية ، لتهديد العالم كله ، ولا أحد لديه أدنى

استعداد لتتركها على قيد الحياة ، أو التسامح مع أى شخص يتعاون معها .. هل تدرك ما يعنيه هذا !؟ لو أنك أغبى من أن تستوعب الأمر ، فدعنى أخبرك أن هذا يعنى أن أحداً لن يسمح لك بالعبث لحظة واحدة ، وأننى لن أتردد فى قطع رقبتك بلا رحمة ، لو لم أحصل منك على ما أريد ، وبأدق التفاصيل .

ارتجف جسد (نواريه) مرات ومرات ، مع كل كلمة نطق بها (ماكلوسكى) ، ثم أطلق صوتاً كالنحيب ، عندما انتهى هذا الأخير من حديثه ، وقال :

- فليكن يا مستر (ماكلوسكى) .. فليكن .. سأخبرك بكل ما أعرفه .

أبعد (ماكلوسكى) فتاحة الخطابات ، وألقاها على المكتب ، وهو يقول فى صرامة :

- كلى آذان مصغية أيها المحافظ .

التقط (نواريه) بعض المناديل الورقية ، ومسح بها الدماء عن عنقه ، وهو يتحدث ..

ويتحدث ..

ويتحدث ..

★ ★ ★

شد جنود المعسكر قامتهم في سرعة ، عندما برز
الجنرال (دياز) بحجمه الضخم ، من حجرة
الاستجواب ، وسمعوه يقول في صرامة ، بصوته
الخشن الجاف :

- انتباه .

ارتفعت صدورهم ، وتجمدت أعناقهم مع صيحته ،
وضرب كل منهم الأرض بكعب مدفعه ، قبل أن يتابع
الجنرال :

- فليأخذ كل منكم موقع الطوارئ .. لا أحد يدخل
المعسكر أو يخرج منه ، إلا بتوقيع خاص مني .
ثم أشار إلى الحجرة ، مستطرذاً في خشونة :
- أحضر الأسيرين .

خرج (قدرى) و (بترو) من الحجرة ، وخلفهما
جنديان ، يصوبان إليهما مدفعيهما الآليين ، والجنرال
يقول في خشونة ، وهو يتجه مع الأسيرين والجنديين ،
نحو الهليوكوبتر ، الرابضة في قلب المعسكر :

- أريد حراسة مكثفة على حجرة الاستجواب ..
لا تسمحوا لأحد بالخروج منها ، مهما كان الثمن ..
تذكروا أن الأمر خطير للغاية .

ثم أشار إلى الهليوكوبتر ، وهو يقول للجنديين في
صرامة :

- هيا .. ادفعوهما داخل الهليوكوبتر .

عقد أحد ضباط المعسكر حاجبيه ، وهو يتابع
ما يحدث ، وأدهشه أن يركب الجنديان الطائرة مع
الأسيرين ، فهمس لزميله :

- ماذا يحدث هنا؟! ألا يبدو لك أن الجنرال غريب
الأطوار اليوم!؟

هز زميله كتفيه ، وقال :

- إنه دائماً غريب الأطوار .

قال الضابط الأول في عصبية :

- ليس إلى هذا الحد .. انظر .. إنه يحتل مقعد

قيادة الهليوكوبتر بنفسه .

سأل زميله في حيرة :

- وماذا في هذا!؟

أجابه في توتر شديد :

- ماذا في هذا!؟ الجنرال لا يجيد قيادة طائرات

الهليوكوبتر أبداً .

ثم اندفع نحو حجرة الاستجواب ، مستطرذاً في

انفعال :

- هناك أمر ما ، لا يمكننى استيعابه قط .
حاول جندي حراسة الحجرة اعتراضه ، قائلاً :
- معذرة يا سيدي الضابط ، ولكن الأوامر تحتّم ..
قاطع الضابط في صرامة ، وهو يدفع باب الحجرة
في حدة :

- تحتّم منع الخروج لا الدخول أيها الـ ...
بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ،
وهو يحدّق في كل تلك الفوضى داخل الحجرة ..
الجنود والضابط كلهم على الأرض ، فاقدو الوعي ،
وقد تجرّد اثنان منهم من ثيابهما .

كل المقاعد والفراش الصغير فقدت المادة الإسفنجية
السميكة ، التي تستخدم لحشوها .. الحقيقية الكبيرة
مفتوحة ، والأدوات داخلها مبعثرة ، وإلى جوارها
وعاء تجمّد فيه بعض المطاط اللين ..

والأدهى أن الجنرال نفسه كان هناك ..
كان ملقى بجسده الضخم في ركن الحجرة ، فاقد
الوعي ، وقد اختفى زيه الرسمي ..

وهتف الضابط في ذهول :

- مستحيل ! لا يمكن أن يتواجد في مكاتين ، في
أن واحد .

ثم استدار بحركة حادة للغاية نحو الهليوكوبتر ،
وحدّق في ذلك الذي يحمل نفسه وجه وهينة الجنرال ،
ويدير مروحة الهليوكوبتر الضخمة ، و ...
واستوعب الضابط الموقف كله في سرعة ، على
الرغم من غرابته ..

وبأقصى سرعته ، انطلق يعدو نحو الهليوكوبتر ،
وانتزع مسدسه من غمده ، صائحاً :
- أوقفوهم .. إنه ليس الجنرال .

وانطلقت رصاصاته نحو الهليوكوبتر ، التي لم
ترتفع بعد عن الأرض ..

وارتفعت فوهات عشرات المدافع الآلية ..
وانطلق سيل من الرصاصات ، ارتفع دويه إلى
عنان السماء ..

رصاصات أصابت هدفها ..

كلها .

★ ★ ★

٦ - الجبال ..

اتهمت السنيورا في مراجعة النتائج الأخيرة ،
لعملية صنع القنبلة الذرية الأولى ، وبدا عليها التوتر
الشديد ، وهي ترفع عينيها إلى البروفيسير
(استروتيسكى) ، قائلة .

- الأمور تسير في ببطء شديد يا رجل .. كان ينبغي
أن نبلغ هذه المرحلة منذ نصف ساعة مضت .
أشار (استروتيسكى) بيده ، قائلاً :
- الجميع يبذلون جهداً مضاعفاً يا سنيورا ،
ونصفهم لم يذوق النوم ، منذ أكثر من ثلاثين ساعة
متصلة .

أقلت التقارير بامتداد يدها في عنف ، صائحة :

- هذا لا يعنينى .. فليلقوا حتفهم ، لو اقتضى الأمر
هذا .. المهم أن يتم إنتاج هذه القنبلة في موعدها
بأى ثمن .. هل تفهم ؟ أى ثمن .

أوما برأسه متفهماً ، وقال في توتر :

- سنبذل قصارى جهدنا يا سنيورا .

أشعلت سيجارتها في عصبية ، وهي تقول :

- فليكن .. أخبرهم أنني سأكافئ الجميع في سخاء ،

لو تم إنتاج القنبلة في موعدها .

ثم صرخت فجأة :

- وسأعاقبهم بمنتهى القسوة ، لو تأخر إنتاجها

نصف ساعة .. هل تفهم !؟

تراجع مضطرباً ، وهو يقول :

- أفهم يا سنيورا .. أفهم .

راحت تنفث دخان سيجارتها في عصبية ، حتى
غادر الحجر ، فاختطفت هاتفها الخاص ، وضغطت
أزراره في سرعة ، وانعقد حاجباها في شدة ، وهي
تستمع إلى الرنين المتواصل ، على الجانب الآخر ،
دون أن تحصل على جواب ، فهتفت في حنق :

- أين أنت يا (نواريه) اللعين !؟ لماذا لا تجيب
مكالماتي !؟ ولماذا لم تتصل ، لتخبرني ما انتهى إليه
الأمر حتى الآن !؟ لماذا !؟ لماذا !؟

انتظرت بضع لحظات أخرى ، ثم أقلت الهاتف في
حنق ، قائلة :

- اللعنة ! هناك شيء ما غير صحيح .. شيء لا يسير كما ينبغي .

اتجهت إلى الشرفة ، وتطلعت إلى السماء ، التي تلوّنت بألوان الشروق الأولى ، في مشهد ربّاني رائع ، لم تنتبه هي إليه ، مع شرودها ، ودخان سيجارتها ، الذي تنفّثه في عصبية شديدة ، وعقلها يدور ويدور حول هذا الأمر ..

اختفاء (نواريه) المباغت يعنى الكثير حتماً ..
كان من الطبيعي أن يتصل بها ، كل حين وآخر ، أو يحدد موقعه على الأقل ، في مثل هذه الظروف العصبية ..

خاصة وهو يعلم مدى دقة وخطورة الأمر ..
ولكنه لم يفعل هذا أو ذاك ..
فلماذا ؟!

لماذا اختفى على هذا النحو ؟!

لماذا لا يمكنها العثور عليه ، في كل الأماكن ، التي يفترض وجوده فيها ، في هذا الوقت ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

التقى حاجباها طويلاً ، وهي تفكر في الأمر بعمق ، ثم لم تلبث أن تمتعت ، وهي تلقى سيجارتها من الشرفة :

- يا للشيطان ! أمن الممكن أن ...

لم تتم عبارتها ، وإنما انهمكت في التفكير العميق لبضع لحظات أخرى ، قبل أن تشعل سيجارة ثانية ، وتتجه نحو جهاز الاتصال الداخلي ، في خطوات واسعة عصبية ، وتضغط زرّه ، قائلة :

- أريد (لورانزو) على الفور .

لم تمض دقائق معدودة ، حتى دلف إلى حجرتها ، شاب مفتول العضلات ، متين البنيان ، وسيم الملامح ، يقول بصوت قوى واثق :

- رهن إشارتك يا سنيورا .

سألته في توتر :

- ما موقف الشحنة ، التي وصلت من الولايات المتحدة الأمريكية ؟!

أجابها بنفس الصوت القوى :

- كل شيء على ما يرام يا سنيورا ..

نفثت دخان سيجارتها في عصبية ، وقالت :

- عظيم .. أريد الجهاز سليماً ومعداً للعمل والانطلاق ،
في أية لحظة .

أوما برأسه ، وهو يقول :

- إته كذلك يا سنيورا .

رددت في عصبية زائدة :

- عظيم .. عظيم .

ثم أقلت السيجارة ، قبل أن تكتمل ، وقالت في
صرامة :

- اسمعني جيداً يا (لوراتزو) .. يبدو لي أن الأمور

لا تسير على ما يرام ، في هذه الساعات الأخيرة .

بدا عليه الانتباه الشديد ، دون أن ينبس ببنت شفة ،

فتابعت بنفس العصبية ، ودخان سيجارتها يتصاعد

إلى سقف الحجرة :

- لست أدري ما الذي تطوّرت إليه الأمور بالضبط ،

ولكنني أتوقع محاولة لبلوغ وكرنا ، بين ساعة

وأخرى .

التقى حاجباه في اهتمام ، وهي تتابع بنفس

العصبية :

- من حسن حظنا أن الشمس ستشرق بعد قليل ،

وكل ما نحتاج إليه هو ست ساعات فحسب ، حتى
نبدأ مشروعنا النووي ، ولا يعود بوسع أحد إيقافنا ،
حتى ولو أعلننا موقعنا ، وهذا يعني أن هجومهم لا بد
أن يتم في ضوء النهار ..

نفثت دخان سيجارتها في قوة وعصبية ، ثم واصلت :

- إنهم لا يستطيعون قصفنا بالصواريخ ، أو مهاجمتنا

بالطيران ؛ لأنهم يعلمون جميعاً أن انفجار مفاعلنا النووي

سيسبب كارثة رهيبية ، تفوق كارثة (تشير نوبل) ،

وهذا يعني أن الهجوم سيتم برأ ، وبأسلوب أقرب إلى

حروب العصابات الانتحارية .

صممت بضع لحظات ، وهي تفكر ، في عمق شديد ،

قبل أن تلتفت إليه ، قائلة في حزم وصرامة :

- اسمعني جيداً يا (لوراتزو) .. أريد منك أن تقود

خمس فرق من أقوى رجالنا ، لحراسة ومراقبة كل

ما يحيط بوكرنا .. احملوا كل ما يمكنكم من أسلحة :

مدافع آلية .. قنابل .. قاذفات صواريخ .. كل الأسلحة

الممكنة ، للدفاع عن المكان ، ونسف كل من يحاول

الاقتراب منه ، في دائرة نصف قطرها خمسة

كيلومترات .

وألقت سيجارتها الثانية في عصبية ، وهي تضيف
بحزم وصرامة أكثر :

- أريد ست ساعات يا (لوراتزو) .. ست ساعات .
والتقى حاجباها على نحو مخيف ، وهي تضيف :

- مهما كان الثمن ..
وكانت تعنى كل حرف نطقته ، في عبارتها الأخيرة ..
كل حرف ..

* * *

مع المفاجأة ، وسرعة سير الأمور ، لم يستوعب
جنود معسكر الجنرال (دياز) الموقف بالسرعة
المناسبة ..

كل ما رأوه واضحا ، في عيونهم على الأقل ، هو
أن أحد ضباط المعسكر يصرخ ، مطالبًا إياهم بإيقاف
جنرالهم ، الذي يعاملونه ويتطلعون إليه ، كما لو كان
إلها ، ثم لا يكتفى بهذا ، وإنما ينتزع مسدسه من
غمده ، ويصوبه إليه ، وهو يعدو نحو الهليوكوبتر ..
وعلى الفور ، قفزت إلى رءوسهم فكرة واحدة ..
التمرد ..

أحد كبار ضباط المعسكر ، يحاول اغتيال الجنرال
(دياز) ..

وفي هذا الأمر ، لديهم أوامر واضحة مشددة ..
من الجنرال (دياز) نفسه ..
لذا ، فقد ارتفعت فوهات مدافعهم كلها نحو الضابط ،
و ..

وانطلقت رصاصاتهم كلها في آن واحد ..
وأصابت هدفها ..

وكان المشهد رهيبًا بحق ..
أكثر من خمسمائة رصاصة ، أصابت جسد الضابط
المسكين في لحظة واحدة ..
وأشاحت (منى) ، المتنكرة في هيئة أحد الجنود ،
وجهها ، هاتفة :

- يا للبشاعة !

ولم يضع (أدهم) لحظة واحدة ..
لقد جذب عصا القيادة ، فارتفعت الهليوكوبتر على
الفور ، واطلقت مروحتها الكبيرة تيارًا من الهواء ،
طارت معه قبعات الجنود ، الذين أصابهم شيء من
الوجوم ، بلبل أفكارهم ، وجعلهم يتساءلون في حيرة
عن صحة ما أقدموا عليه ..
فقط ضابط واحد ، هو الذي اندفع نحو حجرة

الاستجواب ، بحثًا عما أثار زميله إلى هذا الحد
المخيف ..

وعندما وقع بصره على الحجرة ، اتسعت عيناه في
ذهول ، وهتف :

- يا إلهي ! إنه الجنرال .

كان (دياز) يستعيد وعيه في هذه اللحظة ، فهتف
بصوته الخشن الجاف :

- الجواسيس .. أين هم ؟! أوقفوهم .. لا تسمحوا
لهم بالفرار .

حدق الضابط فيه مرة أخرى في ذهول ، ثم استدار
في حركة حادة ، يحدق في الهليكوبتر ، التي انطلقت
مبتعدة ، قبل أن يقول بصوت يحمل اضطراب الدنيا
كلها :

- لقد .. لقد هربوا بالفعل يا جنرال .. انطلقوا
بالهليكوبتر منذ لحظات .

اتسعت عين الجنرال (دياز) في غضب ، وراح
يقاوم قيوده ، صارخًا :

- هربوا .. اللعنة ! لا يمكن أن يهربوا من (دياز) ..
لا يمكن .. أوقفوهم بأي ثمن .. بأي ثمن .



اتسعت عين الجنرال (دياز) في غضب ، وراح يقاوم قيوده ..

اندفع الضابط نحوه ؛ ليحل قيوده ، قائلاً فى توتر :
- سنفعل كل ما بوسعنا يا جنرال .. سوف ..
صرخ فيه الجنرال (دياز) ، فى غضب هادر :
- ماذا تفعل أيها الغبى ؟! اترك هذه القيود الآن ،
واتصل على الفور بالقوات الجوية ، قبل أن يبتعدوا
كثيراً .. أسرع أيها التعس .. لا تضع لحظة واحدة ..
تركه الضابط ، وانطلق يعدو نحو جهاز الاتصال
اللاسلكى ، فى حجرة الاستجواب ، وضغط زرّه ،
وهو يجرى اتصاله بالقوات الجوية ، ليبلغهم بالأمر ..
بكل تفاصيله ..

وفى نفس اللحظة ، التى فعل فيها هذا ، كانت
(جيهان) تقول فى استرخاء :

- خطة عبقرية يا (أدهم) .. لقد أثبت اليوم أنك
أستاذ فى فن التنكر بالفعل .

رمقتها (منى) بنظرة جانبية ، وهى تقول فى
سخريّة :

- هل كشفت هذا اليوم فقط ؟! يا للعبقرية !

انعقد حاجبا (جيهان) ، وهى تقول فى عصبية :

- كل شخص فى جهاز المخابرات المصرى ، يدرك

مدى عبقرية العميد (أدهم) ، فى هذا المضمار
بالذات ، ولكن أن تسمع شىء ، وأن ترى شىء آخر .
لم ينتبه (قدرى) إلى طبيعة الحوار بينهما ، فقال
فى حماس :

- الواقع يا (منى) أن (أدهم) قد أدهشنى أيضاً ،
وهو ينتحل هيئة ذلك العملاق البغيض ، فلقد تساءلت
فى البداية ، كيف سيمكنه انتحال هيئة ذلك الوغد ،
مع حجمه الهائل هذا ؟! ولقد بهرتنى فكرة استخدام
الإسفنج ، من الفراش والمقاعد ، لملء فراغ زى
الجنرال ! أما تحويل المطاط السائل إلى قناع متقن
لوجه الرجل ، فقد كان لمحة عبقرية بالفعل .

أشار إليهم (أدهم) بالصمت ، وقال فى حزم :

- كفى يا رفاق .. الموقف لا يحتمل مناقشة أمر
كهذا لفترة طويلة .. لقد كشفوا أمرنا الآن ، وهذا
يعنى أن قواتهم الجوية ستنتقض علينا ، بين لحظة
وأخرى .

بُهِتَ (قدرى) للكلمات ، فغمغم :

- يا إلهى ! هذا صحيح .

راح (أدهم) ينتزع زى الجنرال ، وذلك الحشو
الإسفنجى عن جسده ، وهو يقول :

- سأحاول الانطلاق على ارتفاع منخفض ، بحيث
يمكننا تحاشي أجهزة الرادار ، أما الخطوة الأكثر
أهمية الآن ، فهي الاتصال بالقيادة .

قالها ، وهو يلتقط بوق جهاز اللاسلكى ، ويداعب
مؤشره ، لتغيير ذبذبة الاتصال ، فسأله (قدرى) فى
دهشة :

- هل يمكنك الاتصال بـ (القاهرة) ، بوساطة هذا
الجهاز !؟

أجابه (أدهم) ، وهو يضغط زر الاتصال :

- كلاً بالطبع ، ولكننى أستطيع الاتصال برجال
مكتبنا فى (سوكرية) ، وستكون لديهم أية تفاصيل
جديدة بالتأكيد .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت عبر جهاز
الاتصال ، يقول بالأسبانية :

- من اعترض شروق الشمس ، على هذه الذبذبة !؟
أجابه (أدهم) بالفرنسية :

- طائر الليل الحزين .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول الصوت
نفسه بالألمانية فى اهتمام :

- وهل بلغ طائر الليل عشه !؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول بالعربية :

- بالتأكيد يا رجل .. لابد أن يطعم صغاره .

هتف صاحب الصوت فى لهفة :

- سيادة العميد .. حمداً لله على سلامتكم .. الجميع

فى الوطن يترقبون أخباركم بمنتهى الלהفة .. عندى
لك معلومة جديدة .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

- أهى بخصوص الأفعى !؟

أجابه الرجل على الفور :

- نعم .. لقد أمكنهم تحديد موقع جحرها .

اعتدل الجميع فى اهتمام كامل ، عندما نطق الرجل

عبارته الأخيرة ، وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ،

وهو يسأله :

- أين هو !؟

ألقى إليه الرجل إحدائيات الموقع بمنتهى الدقة ، ثم

أضاف فى اهتمام :

- هل تحتاج إلى الدعم يا سيادة العميد !؟

استدار (أدهم) يلقى نظرة على رفاقه ، ثم أجاب

فى حزم :

- أعتقد أن لدى هنا ما يكفيني .

ابتسمت (جيهان) ، ورفعت إبهامها ، قائلة في حماس :

- أحسنت .

أضاف (أدهم) ، وكأنه لم يسمع عبارتها :

- الواقع أن لدى راكب زائد .

قال (قدرى) فى عصبية :

- من هذا الراكب الزائد !؟

تجاهل (أدهم) سؤاله ، وهو يقول ، عبر جهاز

الاتصال اللاسلكى :

- أريد سيارة وسائقًا ، عند الموقع (سى + ١٧) ،

جنوب (فيلامونتر) .. سيتم نقل راكب بالغ الأهمية ،

إلى المدينة ، ومنها بطائرة خاصة إلى (سوكرية) ..

امنحوه كل التسهيلات التى يطلبها .. إننا نعتمد عليه

تمامًا ، فى رحلة العودة .. هل تفهم !؟

أجابه الرجل ، فى احترام شديد :

- كما تأمر يا سيادة العميد .. ستجد السيارة والسائق

عند الموقع (س + ١٧) ، جنوب (فيلامونتر) ،

بعد ساعة واحدة من الآن .

قال (أدهم) فى ارتياح :

- عظيم .. حاول المحافظة على الموعد بمنتهى

الدقة ، وأرسل إلينا كل ما نحتاج إليه من أسلحة .

ثم أنهى الاتصال ، وقال لـ (قدرى) فى حزم :

- كما سمعت يا صديقى .. إننا نعتمد عليك فى

رحلة العودة .

قال (قدرى) فى ارتباك :

- وما الذى يمكننى أن أفعله يا (أدهم) !؟

رصاصات الجنود أتلقت كل ما أحضرته معى من

وثائق ، وحتى جوازات السفر الزائفة ،

أجابه (أدهم) فى سرعة :

- سيوفرون لك كل ما تحتاج إليه .. الفارق الوحيد

هو أنك ستضطر لاستخراج جوازات سفر (بوليفية) .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

- وأنا واثق من أنك ستجد عملك إلى أقصى حد .

هزَّ (قدرى) رأسه متفهمًا ، وغمغم فى أسى :

- لا يروق لى أن أتخلى عنكم الآن .

ثم رفع عينيه المغرورقتين بالدموع إلى (أدهم) ،

مضيفًا :

- لقد بدأت اللعبة تروق لى .

تنهّد (أدهم) ، قائلاً :

- ربما يا صديقى .. ربما .. ولكن الجزء القادم من اللعبة لن يروق لك ، ولن يناسبك بالتأكيد .. ستبدو أشبه بلاعب كرة قدم محترف ، فى حلبة ملاكمة .. أذْ دورك الطبيعى يا رجل ، وستبدو لك اللعبة أكثر إمتاعاً ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فجأة :

- تشبّبوا بمقاعدكم .

تشبّب كل منهم بمقعده فى حركة آلية ، وحدّقوا فى ذلك المشهد ، الذى أمامهم ، غير الواجهة الزجاجية للهليوكوبتر ..

فهنالك ، أمام قرص الشمس ، الذى بدأ رحلته اليومية ، ظهرت ثلاث طائرات هليوكوبتر حربية ، تنطلق نحوهم ..

مباشرة ..

★ ★ ★

« دقائق ونبغ الموقع المطلوب أيها السادة .. »
بلغ ذلك النداء مسامع (ماكلوسكى) ورجاله ،

وهم يجلسون داخل طائرة خاصة ، تحلق فوق جبال (فيلا مونتر) ، فاعتدل الرجل ، وألقى سيجارته أرضاً ، وسحقها بقدمه ، وهو يواجه فريقه الصغير ، قائلاً فى حزم :

- للمرة الأخيرة سنراجع الخطة ، قبل الهبوط .

تمتت (سيرينا) ..

- يا للضجر !

تجاهل قولها تماماً ، وهو يتابع :

- التطورات السريعة للأمر ، أجبرتنا على أن نبدأ

القتال بعد مطلع الشمس ، وهذا يتعارض بالطبع مع

القواعد الصحيحة للتسلل ، التى تفضل الليل بسكونه

وظلمته ، عن النهار بوضوحه و سطوعه ، مما يعنى

أننا لن نستطيع الهبوط ، بالقرب من وكر السنيورا ،

لذا فسنهبط على مسافة خمسة كيلومترات منه ، مع

كل معدّاتنا ، وسنتجه إليه مباشرة من محورين ،

بحيث نبلغه بعد ساعة واحدة على الأكثر (*) .

مط (ماسياس) شفّتيه ، وقال فى حنق :

(*) يبلغ متوسط سرعة الإنسان العادى ، على الأرض الممهّدة ، ستة كيلو مترات فى الساعة .

- لماذا أحضرتهم إذن تلك السيارات ، ما دمنا لن
نستخدمها هنا !؟

أطلق (باكنباه) ضحكة ساخرة ، وقال :

- يا لك من رجل ! كم يدهشنى أن حصلت على كل
تلك الأوسمة !؟

ثم اعتدل ، وأشار إلى رأسه ، مضيفاً فى تهكم :

- استخدم عقلك يا رجل .. كيف يمكن أن تقود

سيارة ، فى جبال وعرة كهذه !؟

أجابه (ماسياس) فى غضب :

- لقد كنا نقود السيارات ، فى الجبال الروسية ،

و ...

قاطعته (ماكلوسكى) فى غضب صارم :

- كفى ! لن أسمح بحدوث هذا التجاوز السخيف

مرة أخرى .. استمعوا إلىّ جيّداً ، وكفّوا عن هذه

المجادلات الطفولية السخيفة .

لوّحت (سيرينا) بكفها ، قائلة :

- نستمع إلى ماذا يا رجل المخابرات !؟ لقد حفظنا

تلك الخطة عن ظهر قلب .. سنتجه إلى الوكر من

محورين .. المحور الأوّل يتكوّن منك و (ماسياس) ،

وستهاجمان الوكر من ناحية الشمال ، أما المحور

الثانى ، والذي يتكوّن منى ومن (باكنباه) ،

فسيهاجم من الغرب .. ومهمتنا هى نسف الصخور

المحيطة بالوكر ، بحيث تتساقط فوقه ، وتسد كل

الطرق المؤدية إليه ، بحيث يمكنك أنت و (ماسياس)

أن تنقضا من الشمال ، بالقتابل المسيلة للدموع ،

وقنابل الدخان ، ومع الاضطراب الحادث ، أهاجم أنا

و (باكنباه) بالقتابل اليدوية ، و ...

بترت عبارتها ، وتنهّدت ، مستطرده :

- وأنت تحفظ الباقي .

انعقد حاجبا (ماكلوسكى) ، وقال فى حنق :

- أسلوبك يجعل الخطة مسطحة سخيفة يا (سيرينا) ،

ويجعلنا أشبه بمجموعة من البلهاء ، فى فيلم هزلى .

هزّت كتفيها المكتظتين بالعضلات ، قائلة :

- ربما لا أجيد طرح الأمور فى أناقة ، ولكن هذا

ملخص ما سنفعله .. أليس كذلك !؟

مطّ (باكنباه) شفّتيه ، قائلاً :

- إنك تهينين خبرتى بالمفرقات .

قالت فى ضيق :

- عظيم .. اتركوا خطتكم الأساسية إذن ، واجعلوا
منى كبش فداء لكم ، لمجرد أنني ...
قاطعها صوت الطيار ، وهو يقول :
- استعدوا للقفز .

أشار (ماكلوسكى) إليهم ، قائلاً فى حزم :
- هيا سيبدأ العمل الفعلى ، وستضطرون لإيقاف
سخافاتكم هذه ، على الرغم منكم .

اصطف الجميع ، عند باب الطائرة ، وتطلعوا فى
اهتمام إلى المصباح الأحمر فوقه ، ثم سرت موجة
قوية فى عروقهم ، عندما أضىء المصباح الأخضر ،
وهتف (ماكلوسكى) :

- اقفزوا ..
ودون لحظة واحدة من التردد ، وثب الثلاثة خارج
الطائرة ، وتبعهم (ماكلوسكى) ، وهو يراجع الخطة
فى ذهنه مرة أخيرة ..

وعندما انفتحت مظلاتهم ، راح الأربعة يهبطون
إلى الجبال ، ولحقت بهم مظلة خامسة ، ارتبطت
بصندوق كبير ، حوى كل أسلحتهم ومعداتهم ..
وكان الهبوط ناجحاً ، إلى أقصى حد ..

وبسرعة ، لملم الأربعة مظلات الهبوط ، وأسرعوا
إلى الصندوق الكبير ، فأخرجوا منه كل أسلحتهم
ومعداتهم ، وتلفتوا حولهم فى حذر ، للتأكد من أن
أحدًا لم يرصد هبوطهم ، ثم قال (ماكلوسكى) ، وهو
يشير بيده فى حزم :

- هيا .
كان الأربعة يتصرفون كمحترفين حقيقيين ، عندما
حانت لحظة الجد ، فلقد انفصلوا إلى فريقين ، تحرك
كل منهما فى الاتجاه المطلوب ، وراحوا يتسلقون
الصخور ، ويتجاوزونها ، ويقطعون طريقهم بمنتهى
الخفة والسرعة ، على الرغم من وعورة التضاريس
الجبلية ، فى تلك المنطقة ..

وظوال نصف ساعة كاملة ، لم يتبادل أحدهم كلمة
واحدة مع رفيقه ، إلى أن توقّف (ماسياس) بفتة ،
وتلفت حوله فى توتر ، قائلاً :

- هناك من يراقبنا .
شحذت العبارة كل حواس (ماكلوسكى) ، فأرهف
سمعه وبصره ، وأمسك مدفعه بكل قوته ، وتلفت
حوله بدوره ، وهو يسأله :

- لماذا قلت هذا؟! هل رأيت شيئاً ما ، أو شخصاً
ما؟!

هزاً (ماسياس) رأسه نفيًا في حزم ، وهو يقول :
- كلا .. ولكنني أشعر بهم .

اتعقد حاجبا (ماكلوسكى) ، وهو يغمغم في
استنكار :

- تشعر بهم؟!

أشار إليه (ماسياس) بيده ، وهو يدور حول
نفسه في حذر شديد ، قائلاً :

- نعم يا مستر (ماكلوسكى) .. إنني أشعر بهم ..
لا تستهن بقولي هذا ؛ فبعد سنوات طوال من القتال
في الجبال ، تتكوّن لديك تلك الحاسة .. نعم .. إنني
أشعر بهم .. أشعر بهم ..

ثم أطلق رصاصات مدفعه الآلى بغتة ، صارخاً :
- في هذا الاتجاه .

صاح به (ماكلوسكى) :

- ماذا تفعل أيها المجنون؟! ستكشف أمرنا .

ولكنه لم يكد يتم عبارته ، حتى انهالت عليهما
الرصاصات كالمطر ..

وهنا ..

هنا فقط ، أدرك (ماكلوسكى) أن (ماسياس)

كان على حق ..

إن تلك الحاسة القتالية تتكوّن بالفعل ، ولكن ..

بعد فوات الأوان ..

★ ★ ★

اعتدلت (سيرينا) بحركة حادة ، وأشارت بيدها

إلى (باكنباه) ، قائلة في عصبية :

- هل تسمع هذا؟!

توقّف (باكنباه) ، وعدّل منظاره الداكن فوق أنفه ،

وهو يقول :

- أسمع ماذا؟!

أرهفت سمعها أكثر وأكثر ، قبل أن تقول في

عصبية زائدة :

- دوى رصاصات ..

التقى حاجباه ، وهو يقول في دهشة :

- دوى رصاصات؟!

أجابته في حدة :

- نعم يا رجل .. هل أصابك الصمم أم ماذا؟!

إته دوى رصاصات واضح .. هناك قتال يدور فى
مكان ما هنا .. يا إلهى ! أخشى أن ..

بترت عبارتها بغتة ، فأكملها هو هاتفاً :

- (ماسياس) ورجل المخابرات .. أليس كذلك !؟

أمسكت سلاحها فى قوة ، قائلة فى حزم متوتر :

- أراهن على أنهما جزء من هذا .

بدا عليه التوتر الشديد ، وهو يسألها :

- ماذا تقترحين !؟

التفتت إليه ، قائلة :

- دعنا نتجه إلى حيث يفترض تواجدهم الآن ، ثم ..

بترت عبارتها بغتة ، وتراجعت فى عنف ، صارخة :

- يا إلهى !

فجأة ، وبينما كانت تتطلع إلى (باكنباه) ،

وتحدثت إليه ، اخترقت رصاصة عدسة نظاره

الداكن ، وحطمتها ، ثم قطعت طريقها عبر عينه

اليسرى ومخه ، وهشمت جمجمته ، لتخرج من

مؤخرة رأسه ..

واستدارت (سيرينا) بمدفعها الآلى ، قبل حتى أن

يسقط (باكنباه) جثة هامدة ، وراحت تطلق نيران

مدفعها الآلى ، صارخة :

- لقد كشفوا أمرنا .. كشفوا أمرنا يا رجل
المخابرات .

لم تنطلق خلفها رصاصة واحدة ، وهى تعدو عبر

الصخور ، فتتجاوز بعضها ، وتقفز فوق البعض

الآخر ، وتدور حول الصخور الكبيرة .

ولما لم تجد رد فعل لرصاصاتها ، التى تطلقها

طوال الوقت ، قفزت تختفى خلف صخرة ضخمة ،

وهى تلهث ، هاتفة :

- ما الذى ألقى بنا رجل المخابرات الوغد فيه !؟

أى فخ هذا الذى وضعنا داخله !؟ أى فخ !؟

لهتت فى عنف ، وهى تتلفت حولها فى انزعاج

بالغ ، و ...

وفجأة ، سقط شيء ما ، من قمة مرتفع صخرى

قريب ، ليستقر بين قدميها ، فقفزت من مكانها ،

واتحنت تلقى نظرة على ذلك الشيء ..

وبكل قوتها ، صرخت :

- يا للشيطان ! قبيلة .

وقفزت جانباً بأقصى سرعة ..

ودوى الانفجار ..

انفجرت القنبلة اليدوية ، على مسافة متر واحد
منها ، فانتزعتها من مكانها ، وألقت بها خمسة أمتار
كاملة إلى الأمام ، قبل أن تسقط ، وترتطم بالصخور
في عنف ، وقد انفجرت عشرات الشظايا والصخور
الرفيعة في جسدها ..

والعجيب أنها لم تلق مصرعها ، على الرغم من
كل هذا ..

كانت الدماء تغطي جسدها كله تقريباً ، وتسيل على
عضلاتها البارزة القوية ، ولكنها صرخت ، بكل
ما تبقى في جسدها من قوة :

- أين قذفت بنا أيها الوغد (ماكلوسكى) !؟

لم تكذ تتم عبارتها ، حتى برز أمامها (لورانزو) ،
وهو يصوب مسدسه إلى رأسها ، قائلاً بالإنجليزية :
- إلى الجحيم مباشرة .

حدقت في وجهه لحظة ، ثم جذبت مدفعها الآلى ،
صائحة :

- أيها الـ

ولكن رصاصه (لورانزو) لم تسمح لها بإتمام
عبارتها ..

لقد أخرستها تماماً ..
وبلى الأبد ..

★ ★ ★

« نفس المشهد السابق .. »

هتف (قدرى) بالعبارة ، فى انهيار تام ، وهو
يحدق فى طائرات الهليكوبتر الحربية الثلاث ، ولكن
(أدهم) أجابه فى حزم :

- خطأ يا صديقى .. هناك فارق جوهري هذه المرة .

ودفع عصا القيادة إلى الأمام ، مكملًا :

- إننا نقود طائرة حربية هذه المرة .

اتخفضت الهليكوبتر بزاوية حادة ، جعلتها تعبر
أسفل الطائرات الثلاث ، ثم لم تلبث أن ارتفعت على
نحو بالغ الخطورة ، يحتاج إلى مهارة مدهشة ،
وانطلقت رصاصاتها فى الوقت ذاته ، نحو إحدى
الطائرات الثلاث ..

وتحطمت المروحة الخلفية للهليكوبتر ، التى
أصابتها رصاصات (أدهم) ، فدارت حول نفسها فى
عنف ، وراح قائدها يبذل قصارى جهده ، للسيطرة
عليها ، وهو يصرخ ، عبر جهاز اللاسلكى :

- لقد أصبت .. سأضطر للهبوط الاضطراري .
تلقي زميلاه رسالته ، وهما يستديران بطائرتيهما ،
لمواجهة طائرة (أدهم) ، وهما يطلقان نيرانهما
نحوها في غزارة ، ولكن (أدهم) ارتفع بالهليوكوبتر ،
ومال بها ، حتى أصبحت تنطلق إلى أعلى ، في وضع
عمودي تمامًا ، ثم مال بها بغتة ، بحيث صارت
مروحتها إلى أسفل ، واعتدل بسرعة مذهشة ، ليجده
الطيران الآخران خلفهما تمامًا ..

وقبل أن يبتعدا عن مرماه ، كانت رصاصاته تنسف
ذيل الطائرة الأولى ، وتضطر قائدها للحاق بزميله
الأول ، في حين انطلق الطيار الثالث بأقصى سرعته ،
محاولاً الفرار من مرمى النيران ، وهو يهتف ، غير
جهاز اللاسلكي :

- لا يمكنني مواصلة القتال .. الخصم شديد البراعة ..
إننا لم نشاهد شيئاً مثله ، حتى في أثناء تدريبات
التماثل (*) .

(*) منذ اختراع أجهزة الكمبيوتر التماثلية ، التي يمكنها
محاكاة الواقع بدقة مذهشة ، أصبح أسلوب تدريب الطيارين الجدد
يعتمد على وضعهم في حالة مماثلة تمامًا للطيران الحقيقي ، داخل
مختبرات خاصة ، مزودة بأحدث أجهزة التماثل وأرقامها .

أتاه الجواب من القاعدة على الفور :
- عد إلى القاعدة فوراً ، ولا تشتبك مع الخصم ..
نكرر .. عد إلى القاعدة فوراً .
التقط (أدهم) الرسالة ، على نفس الموجة ، التي
استقبلها عليها قائد الهليوكوبتر ، الذي لم يكذب يسمع
الأمر ، حتى انطلق هارباً على الفور ، وكأنما لا يصدق
أنه نجا ، من خصم رهيب كهذا ، فهتف (قدرى) في
جماس :

- رائع يا صديقي .. لقد أجبرتهم على الانسحاب .
أجابه (أدهم) في حزم ، وهو ينطلق نحو الجنوب
الشرقي :

- الانسحاب ليس نهاية المعركة يا صديقي .. إنه
حسم للجولة الأولى فحسب .

سألته (منى) في اهتمام :

- ما الذي تتوقع منهم فعله الآن ؟!

أجابها بسرعة ، وكأنما كان ينتظر سؤالها :

- سيرسلون طائرات مقاتلة .

انعقد حاجبا (جيهان) ، وهي تغمغم :

- يا إلهي ! لقد سئمت هذه الاشتباكات الجوية .

قال (أدهم) ، وهو ينطلق بالهليوكوبتر ، على ارتفاع منخفض للغاية :

- إننى أشاركك هذا الشعور ، لذا فسأحاول تفادى أية اشتباكات أخرى بقدر المستطاع .

سألته (منى) فى لهفة :

- وهل يمكننا هذا !؟

أجابها فى حسم :

- المقاتلات ستنتطلق بالطبع من أقرب مطار حربى ، وطبقاً للخرائط العسكرية لدينا ، فهو يقع على مسافة مائة كيلومتر شمالاً ، ولما كنا ننتطلق على ارتفاع منخفض للغاية كما ترون ، وفى اتجاه الجنوب الشرقى ، فسيكون عليهم التحليق فى دائرة نصف قطرها مائتى كيلومتر ، حتى يمكنهم العثور علينا ، ومع قياس الفارق بين سرعتنا وسرعتهم ، فلن يمكنهم رؤيتنا عملياً ، قبل ساعتين من الآن ، وفى هذه الأثناء سنكون قد بلغنا وكر السنيورا ، وبدأنا مهمتنا .. بل وانتهى الأمر أيضاً على الأرجح .

صمت لحظة ، ثم أضاف بلهجة صارمة .

- لصالحنا أو ... لصالحها .

نطقها فران على الهليوكوبتر صمت ثقيل مهيب ، وراحت تنطلق وسط سلاسل الجبال العالية ، نحو الموقع ، الذى سيشهد الجولة القادمة من الصراع ..
الجولة الحاسمة ..
والأخيرة .

★ ★ ★



٧ - العمالة ..

أدارت السنيورا عينيها في بظء ، عبر الشاشات الأربعة ، التي تنقل إليها صور ممولى مشروعاتها النووى ، قبل أن تقول فى حزم واثق :

- أربع ساعات ونصف فحسب ، ويبدأ مشروعنا العملاق أيها السادة .. أربع ساعات ونصف فحسب ، وتنفجر قنبلتنا الأولى فى صحراء (أريزونا) ، ويدرك العالم أجمع أننا أصبحنا السادة الجدد .

قال الاسترالى فى توتر :

- ولكنك أبلغتنا مسبقاً بوجود تأخير ما .

أومأت برأسها إيجاباً ، وقالت :

- هذا صحيح ، ولكننى أجبرت الجميع على بذل

المزيد من الجهد ، مما مكنا من تعويض التأخير ،

بل وتحقيق تقدم مدهش أيضاً .

قال الأمريكى فى تحفز :

- وماذا عن تلك المعلومات ، التى تشير إلى أن

الأمريكيين قد توصلوا إلى معرفة المقر !؟



وراحت تنطلق وسط سلاسل الجبال العالية ، نحو الموقع ،
الذى سيشهد الجولة القادمة من الصراع ..

أطلقت ضحكة عابثة طويلة ، قبل أن تجيب :

- دعهم يتوصلون إليه يا رجل .. لقد سحق رجالي منذ قليل محاولة أمريكية لبلوغ المقر ، وسيسحقون أية محاولة أخرى بنفس القوة .

هتف الياباني مذعورًا :

- حديثك هذا يعنى أنهم قد توصلوا إلى المقر بالفعل .

وصاح الروسي :

- يا للشيطان ! إنها مصيبة .

انعقد حاجباها ، وهي تقول في صرامة :

- لا توجد أية مصائب .. كلنا كنا نعلم أنهم سيتوصلون إلى مقرنا ، إن عاجلاً أو آجلاً .
قال الاسترالي في عصبية :

- نعم ، ولكن ليس بهذه السرعة .. لقد كنا نتوقع حدوث هذا ، بعد أن يكتمل المشروع تماماً .

أشارت بيدها في صرامة ، قائلة :

- فلنفترض إذن أنه قد اكتمل .

سألها الياباني في حدة :

- هل سنبدأ مرحلة العيش في الوهم !؟

أجابته في حدة مماثلة :

- بل سنبدأ مرحلة التعامل مع الواقع الفعلي .

والتقطت نفساً عميقاً ، وهي تعتدل في مجلسها ،

مستطردة :

- لقد أرسلت إنذاراً بالفعل ، لكل دول العالم المتقدم ،

أعلن فيه وجودنا ، وأطالبهم بالاعتراف بنا ، وبسيطرتنا

على مقاديرهم ، وإلا قمنا بنسف عواصمهم كلها بلا

رحمة ، بسلسلة من القنابل الذرية .

قال الأمريكي في دهشة :

- ولكننا لم نمتلك تلك القنابل الذرية بعد .

أشارت إليه ، قائلة في حدة :

- أنت تعلم هذا ، ولكنهم لا يعلمونه .

صمت الرجال الأربعة مبهوتين ، في حين استعادت

هي جزءاً من سيطرتها على أعصابها ؛ لتتابع :

- عندما يتلقون الإنذار ، سيتصوّرون أننا قد امتلكننا

تلك القنابل النووية أو الذرية بالفعل ، وسيناقشون

الأمر ، ويمحصونه ، ويفحصونه لعدة ساعات ، وقبل

أن ينتهوا من هذا ، نكون نحن قد فجرنا قنبلة

صحراء (أريزونا) ، فلا يعود لديهم أدنى شك في

جدية إنذارنا ، وسيبدءون في التفكير على نحو آخر ،
في حين ننتج نحن باقى قنابلنا ، في هدوء وسرعة .
ران الصمت بضع لحظات ، بعد أن انتهت من
حديثها ، ثم غمغم الياباتي :
- فكرة عبقرية .

لم يكذ ينطقها ، حتى اندفع الثلاثة الآخرون ،
يتنافسون على إعلان استحسانهم للخطة ، حتى إن
السنيوراجت في مقعدها ، وابتسمت في ظفر ،
وتألفت عيناها في ثقة ..

ولكن العجيب أنه ، وعلى الرغم من هذا المظهر
الواضح الثقة ، كان هناك خوف كامن في أعماقها ،
لم ينضب بعد ، على الرغم من انتصار رجالها
الساحق علي (ماكلوسكى) وفريقه ..

خوف تركز كله عند رجل واحد ..

رجل يحمل لقباً فريداً ، في عالم الأحياء ..

لقب (رجل المستحيل) ..

★ ★ ★

ظل (قدرى) صامتا طوال الوقت ، والوجوم يطلن
من كل خلجة من خلجاته ، والسيارة التي طلبها

(أدهم) ، تنطلق به ، في طريقها إلى مدينة
(فيلامونتز) ، وراح عقله يسترجع عشرات الذكريات ،
البعيدة والقريبة ..

استعاد ذكرى لقائه الأول مع (أدهم) ..

وصداقتهما ..

وظهور (منى) لأول مرة في حياة (أدهم) ..
ورفضه المبدئي لوجود فتاة ، يمكن أن تشاركه
مغامراته وعملياته الخاصة (*) ..

ثم حبه لها ..

وإصابتها الأولى (**) ..

ثم قفزت به الذكريات دفعة واحدة إلى إصابتها
الأخيرة (***) ..

وإلى ظهور (جيهان) في حياة (أدهم) (****) ..

ذكريات طويلة عديدة ، مرقت في ذهنه كالسهم ،

(*) راجع قصة (الاختطاف الغامض) .. المغامرة رقم (١) .

(**) راجع قصة (حلفاء الشر) .. المغامرة رقم (١٢) .

(***) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم

(١٠٠) .

(****) راجع قصة (الإعصار الأحمر) .. المغامرة رقم

(١٠٤) .

قبل أن يتوقف عند تلك المغامرة الأخيرة ، التي
تعقدت فيها الأحداث ، وتشابكت ، على نحو لم يسبق
له مثيل ..

المغامرة التي انتهى دوره فيها تقريبًا ، عندما
غادر الهليوكوبتر ، ليستقل تلك السيارة ، في حين
انطلق بها (أدهم) مرة أخرى ، مع (منى)
و (جيهان) ، و (بترو) ، في طريقهم إلى وكر الأفعى ..
وإلى المواجهة الأخيرة ..

سرت في جسده قشعريرة باردة ، عندما سرى في
عقله هذا المصطلح ، ووجد نفسه يتساءل في قلق
شديد : أهي المواجهة الأخيرة حقًا ؟!

هل سيتم حسم الأمر بالفعل ، في قلب جبال
(فيلامونتر) ؟!

ولو تم هذا بالفعل ، فلن يكون النصر ؟!

لمن ؟!

وعند هذا السؤال الأخير بالتحديد ، تحولت
قشعريرته إلى انتفاضة قوية ، ارتج معها جسده
الضخم كله ، وتحولت أفكاره الصامتة إلى كلمة
واحدة مسموعة ، وهو يتمتم :

- يا رب ..

نطقها بكل القلق والخشوع ..

والخوف ..

الخوف من مواجهة رهيبه ، يعلم الله (سبحانه
وتعالى) وحده متى يتم حسمها ..
وكيف ؟!

★ ★ ★

« إننا نتجه الآن نحو وكر السنيورا مباشرة ، وينبغي
أن تعلموا أن المواجهة لن تكون سهلة أبدًا .. »
ألقى (أدهم) عبارته في حزم ، وهو يواصل
الانطلاق بالهليوكوبتر ، على ارتفاع منخفض للغاية ،
وسط جبال (فيلامونتر) ، فاستمع إليه الجميع في
انتباه ، وهو يتابع :

- من المؤكد أن السنيورا ستحيط وكرها بكل أنواع
الحراسة والرصد الممكنة .. ستكون هناك أجهزة رادار
متقدمة ، لرصد أي هجوم جوى ، ونقاط مراقبة ،
تستخدم التصوير بالفيديو ، ومراقبون بشريون ،
ووحدة دفاع جوى ، مزودة بالصواريخ الموجهة ،
وأسلاك شائكة ، أو مكهربة ، وجنود ، ورجال

حراسة .. باختصار ، علينا أن نتوقع كل الوسائل الدفاعية والهجومية الممكنة ، فهي لن تسمح لأحد بالاقتراب من وكرها ، مهما كان الثمن .

لم يفهم (بترو) حديث (أدهم) ، ولكنه أدرك أنه يتحدث عن المهمة القادمة ، فسأل في اهتمام بالغ :

- ما الدور الذي ستسندده إلي يا (أومو بيليجروسو) ؟!

أجابته (أدهم) ، وهو يرتفع بالهليوكوبتر ، ليتجاوز مانعاً صخرياً متوسط الارتفاع :

- لم يتم توزيع الأدوار بعد يا (بترو) .. صحيح أننا نعرف موقع وكر السنيورا ، ولكننا لم نحدد طبيعته بعد .. تمسك بالصبر يا رجل ، فلن تتأخر المواجهة كثيراً ، إننا سوف ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يعقد حاجبيه في شدة ، ويواصل الارتفاع بالهليوكوبتر ، أكثر مما ينبغي ، فاعتدلت (جيهان) ، تسأله في قلق :

- ماذا هناك ؟!

أجابها في حزم :

- من الواضح أننا قد اقتربنا كثيراً من الهدف ؛ فهناك طاقم حراسة ، على قمة ذلك المرتفع الصخري ، مزود بمدفع مضاد للطيران .

هتفت (منى) :

- حقاً ؟! لماذا ترتفع بالهليوكوبتر إذن ؟!

أجاب في قوة :

- حتى نبدو أشبه بدورية طيران تقليدية .

قالت (جيهان) في قلق :

- ولكن هذا يجعلنا فريسة سهلة ، لأجهزة الدفاع الجوي .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال في حزم :

- لا يمكنك أن تأكل لحم البقرة ، وتشرب لبنها في الوقت ذاته .. لا بد أن نخاطر في أحد الاتجاهين ، حتى نأمن شر الجانب الآخر .

تمتمت (جيهان) في عصبية :

- أتعشّم أن يفيد هذا .

لم يعلق (أدهم) على عبارتها مباشرة ، وإنما لاذ بالصمت لبعض الوقت ، قبل أن يشير بيده ويقول في لهجة قوية حازمة ، تشوبها رنة توتر خفية :

- انظروا ..

انتقلت أبصارهم بحركة آلية إلى حيث يشير ، وتجهّمت وجوههم ، وهم يتطلعون إلى ذلك الوكر النووي الرهيب ، الذي يختفي وسط صخور الجبل ..

كان أشبه بمصنع كبير ، يتكوّن من مبنى من طابقين ، إلى جوار مبنى مستدير ، له قبة واسعة عالية ، يحيط به سور من الأسلاك الشائكة السميكة .. وعلى سطح المبنى الأوّل ، بدت وحدة صواريخ مضادة للطائرات ، وإلى جوارها رادار كبير ، من المؤكّد أنه قد رصد الهليكوبتر ، وأبلغ المسنولين عن وحدة الصواريخ ، والذين ارتفع صوت أحدهم ، من جهاز الاتصال اللاسلكى فى الهليكوبتر ، وهو يقول فى صرامة ، وبلغة إسبانية :

- إلى الهليكوبتر الحربية (تى - إم - ١٧) .. أنت الآن داخل مجال جوى خاص غير مسموح لك بالتواجد فيه .. غادر المجال على الفور ، وإلا ستعرض لأجهزة الدفاع الجوى الخاصة بنا .. أكرّر .. أنت الآن داخل مجال جوى محظور ..

ضغط (أدهم) زر الاتصال ، وهو يقول بصوت أجش :

- تلقينا الإشارة ، ونحن فى سبيلنا لمغادرة المنطقة المحظورة .

هتفت (جيهان) :

- يا للأوغاد ! إنهم يتصرفون كما لو أن لهم الحق فى التواجد هنا .

واصل (أدهم) ابتعاده عن الوكر ، وهو يقول :
- ما دمنا نتعامل مع السنيورا ، فلا تجعلى هذه الصفاقة تدهشك .

سألته (منى) ، وهى تعدّ مدفعها الآلى للعمل :
- ما الذى تخطط له بالضبط !؟

أجابها ، وهو يعاود الانخفاض بالهليكوبتر ، إلى مستوى تعجز فيه أجهزة الرادار عن رصده :

- السنيورا لا تتوقع هجوماً جويًا بالتأكيد ، فهى تعلم أن الجميع يدركون مدى خطورة قصف مفاعل نووى بالصواريخ ؛ لذا فستركّز كل جهودها على التصديّ لمحاولات الهجوم البرية ، بما فى هذا محاولات الإبرار الجوى .. وكل ما علينا أن نفعله هو أن نسدّد إليها ضربتنا ، من حيث لا تتوقع .

سألته (منى) فى اهتمام :

- كيف !؟

دار بالهليكوبتر فى براعة مدهشة ، بين سلاسل الجبال ، على هذا الارتفاع المنخفض للغاية ، وهو يقول :

- استمعوا إلىَّ جيِّداً ، فسأخبركم بما ينبغي علينا فعله .

وفي سرعة ودقة مدهشتين ، راح يشرح خطته ، باللغتين العربية ، والبرتغالية ..

والمدهش أنها ، وعلى الرغم من بساطتها ، كانت خطة دقيقة بارعة ..

خطة قد تنجح في إحداث التأثير المطلوب ..

وفي اختراق وكر السنيورا ..

ولكن لا أحد يدري ما الذي يمكن أن يحدث بعدئذ .. لا أحد ..

★ ★ ★

« من نقطة المراقبة الخامسة إلى القاعدة .. لم يتم رصد أية وحدات هجومية أخرى ، وكل شيء يسير على ما يرام .. »

أنهى أحد رجال السنيورا رسالته هذه ، من فوق إحدى المرتفعات الصخرية ، على مسافة كيلومتر واحد من القاعدة ، والتفت إلى رفاقه الأربعة ، الذين استرخوا فوق الصخور ، وقال ملوِّحاً بكفه :

- من الواضح أننا قد صرنا قوة لا يستهان بها

يا رفاق .. لا أحد يجرؤ على الاقتراب منا ، بعد أن أبرزت سنيورتنا أنيابها ، وأرسلت تحذيرها إلى العالم أجمع .

قهقهة أحدهم ضاحكاً ، وقال :

- هذا ما كنا ننتظره منذ البداية يا رجل .

التقط الأول نفساً عميقاً من هواء الجبل ، قائلاً :

- يلوح لي أنني أشم رائحة الانتصار يا رجال ..

ستتدفق علينا الدولارات كالسيل ، كما وعدتنا السنيورا .

هتف ثالث في حماس ، وهو يلوح بمدفعه الآلى :

- تحيا زعيمتنا الظافرة ..

لم يكذب يتم عبارته ، حتى أشار إليه الأول بالصمت بغتة ، وأمسك بمدفعه الآلى في قوة ، وهو يقول في توتر :

- مهلاً ..

انتقل توتره في لحظة واحدة إلى الجميع ، وسأله أحدهم في عصبية :

- ماذا حدث !؟

أجابه الأول ، وهو يتلفت حوله في توتر :

- ألا تسمع يا رجل .. إنه صوت هليوكوبتر تقترب
من بعيد ، أو ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفعت الهليوكوبتر فجأة
أمامه ، من خلف المرتفع ، فتراجع هاتفاً في دعر :
- يا للشيطان !

قبل حتى أن يكتمل هتافه ، أو يدير رفاقه فوهات
مدافعهم الآلية نحو الهليوكوبتر ، كان (بترو) يقفز
منها ، وينقض عليهم جميعاً ، وهو يطلق صرخة
مخيفة ، انتفضت معها عروقهم ، وانخلعت لها
قلوبهم ، و (بترو) يطيح بهم ، في أسلوب تمت
دراسته مسبقاً .. ولم تتوقف الهليوكوبتر لرؤية
العملاق الأسود ، وهو يهشم فك أحدهم ، ويحطم
رأس الثاني ، ويسحق أنف الثالث ، قبل أن يلقي
الأخيرين من قمة المرتفع الصخري ، وهما يطلقان
صرخة هائلة ..

لقد أنهت الهليوكوبتر مهمتها بإنزاله في ذلك الموقع ،
وعادت تنخفض في سرعة ، قبل أن ترصدها أجهزة
الرادار في وكر السنيورا ، وانطلقت مرة أخرى عبر
الجبال والمرتفعات الصخرية ؛ لتتم الجزء الخاص بها
من الخطة ..

وفي نفس اللحظة ، التي أنهى فيها (بترو)
مهمته ، على قمة المرتفع الصخري ، وانطلق في
خفة حذرة ، ليتم عمله ، كان أحد رجال المراقبة ،
يسأل (لورائزو) ، عند أقرب المواقع إلى وكر
السنيورا :

- سنيور (لورائزو) .. لماذا لم نتلق تقريراً من
الموقعين اثنين وأربعة ؟!

اتعقد حاجبا (لورائزو) ، وهو يقول :

- كيف هذا ؟! المفترض أن نتلقى تقارير منتظمة ،
من كل موقع ! قالها ، وانهمك في التفكير بضع
لحظات ، قبل أن يشير إلى الرجل ، قائلاً في حزم :
- اتصل بالمواقع الأربعة ، واطلب من كل موقع
تحديد موقعه على الفور .

أجرى الرجل اتصالاته في سرعة ، ثم رفع إليه
وجهاً مختقناً ، وهو يقول في توتر :

- سنيور (لورائزو) .. كل المواقع لا تستجيب
للنداء .

هتف (لورائزو) في عصبية :

- لا تستجيب .

ثم جذب مدفعه الآلى فى حزم ، هاتفًا :

- اتصل بالسنيورا على الفور ، وأبلغها أن ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفعت هليوكوبتر (أدهم)

أمامه فجأة ، وانقضت عليه وعلى رجاله فى سرعة ،

فصرخ ، وهو يصوب إليها مدفعه الآلى :

- اللعنة ! إنه هجوم .

قبل أن تنطلق من مدفعه رصاصة واحدة ، كانت

الهليوكوبتر تغمره ورجاله بالرصاصات ، فوثب من

المرتفع الصخرى ، صائحًا :

- خيانة يا سنيورا .. خيانة !

تدحرج جسده فوق الصخور ، وسمع دوى

رصاصات الهليوكوبتر يتردد فوقه ، ممتزجًا بصراخ

رجاله ، قبل أن تتجاوزهم الهليوكوبتر ، وتنقض على

وكر السنيورا مباشرة ، دون أن تتوقف عن إطلاق

رصاصاتها ..

وفى حجرتها ، انتفضت السنيورا فى عنف ، مع

دوى الرصاصات ، واتسعت عيناها عن آخرهما ،

وهى تثب لتضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، هاتفًا :

- ما الذى يحدث هنا ؟! ما الذى يحدث بحق

الشیطان ؟!

أتاها صوت أحد رجالها ، يهتف فى توتر بالغ :

- إننا نتعرض لهجوم جوى يا سنيورا ..

شهقت هاتفًا فى ذهول :

- هجوم جوى ؟!

كان من الطبيعى أن يذهلها هذا ، فى تلك الظروف

بالذات ، فطبقًا لكل قواعد العقل والمنطق ، لم يكن

من الممكن أبدًا أن تتعرض لهجوم جوى ، بعد أن

أطلقت إذارها للعالم أجمع ، وبعد أن علم الجميع أن

لديها مفاعلًا نوويًا ، ينتج القنابل الذرية ..

بل وبعد أن أقنعت الجميع بأن لديها بالفعل بعض

القنابل الذرية ، فى قلب العواصم الكبرى فى العالم ،

وأن هذه القنابل كلها معدة للتفجير فى أية لحظة ..

إنها تعلم جيدًا أسلوب تفكير السياسيين ، فى مثل

هذه الأمور ..

لقد تعمدت ترك أثر واضح خلفها ، وهى تحصل

على البلوتونيوم ٢٣٩ من (روسيا) ، وعلى الماء

الثقيل من (باكستان) وتصرفت على نحو بالغ

الوضوح ، وهى تختطف فريق العلماء ، من كل مكان

فى العالم ، حتى يدرك الجميع منذ البداية ، أنها

تسعى لإنتاج القنابل الذرية ..

وعندما أطلقت إنذارها ، كانت تدرك أن أول ما سيتبادر إلى أذهانهم ، هو أنها قد أنتجت تلك القتابل بالفعل ..

ومن المنطقي والطبيعي ، أن يدفعهم هذا لتلقى إنذارها بمنتهى الجدية والاهتمام ..

وأن يتعاملوا معه ومعها بمنتهى الحذر ..

لا أن يطلقوا قواتهم الجوية خلفها على الفور !

هذا يتعارض مع كل القواعد السياسية ..

يتعارض بشدة ..

ولكنها لن تضيع الوقت في استنكار ما يحدث ،

والدهشة منه ..

ستتعامل مع هذا الهجوم الجوي على الفور ..

وبأعنف ما يمكن ..

وبكل غضبها وصرامتها ، هتفت عبر جهاز

الاتصال الداخلي :

- أطلقوا الصواريخ الموجهة نحو الطائرات المهاجمة

على الفور .

صاح بها رجلها في عصبية :

- ليست طائرات يا سنيورا .. إنها طائرة واحدة ..

طائرة هليوكوبتر حر ..

قبل أن يتم عبارته ، دوى انفجار عنيف ، ارتج له المكان كله ، فصرخت :

- ماذا حدث هنا ؟!

صاح الرجل في زعر ملحوظ :

- لقد نسفوا وحدة الرادار يا سنيورا .

تفجرت براكين الغضب في عروقها ، وهي تصرخ :

- أطلقوا الصواريخ الموجهة .. انسفوا تلك

الهليوكوبتر نسفاً .

قالتها ، وانطلقت تعدو خارج حجرتها ، حتى بلغت

تلك الحجرة ، التي تدير منها الموقع كله ، وضغطت

زر شاشات الرصد ، التي تنقل إليها كل ما يحدث ،

خارج وداخل المكان ، وانعقد حاجباها في شدة ،

وهي تتطلع إلى المشهد ، الذي تنقله إحدى الشاشات

الخارجية ، للطائرة الهليوكوبتر الحربية ، وهي تدور

حول نفسها ، ثم تنقض مرة أخرى ، لتطلق

رصاصاتها نحو فرقة من رجالها ، انطلقت تعدو في

ساحة المبنى ..

ثم انطلق أحد الصواريخ الموجهة خلف الهليوكوبتر ..

وهتفت هي في انفعال :

- لن يمكنك الإفلات من هذه الصواريخ الموجهة
يا قائد الهليكوبتر .

كانت عبارتها صحيحة إلى حد كبير ، فمع ذلك
الطراز من الصواريخ ، التي يتم توجيهها بأجهزة
التحكم عن بعد ، وبوساطة طاقم من المحترفين ،
كانت احتمالات النجاة منها تنخفض إلى ما يقرب من
واحد في الألف ..

إذا ما كان الطيار شديد البراعة ..

ولم يكن هذا الأمر يخفى ، بالنسبة لـ (أدهم
صبرى) ..

لقد رأى الصاروخ ينطلق نحوه ، فارتفع
بالهليكوبتر بغتة ، ودار بها إلى اليسار ، وانخفض
مرة أخرى ، ثم انطلق إلى الأمام ، والصاروخ يتبع
كل تحركاته ، ويطارده في إصرار ..

كان أمراً أشبه بألعاب الفيديو ، التي يمارسها
الصغار على الشاشة ..

صاروخ يطارد هليكوبتر ، ويتبع مسارها ، مهما
راوغت وناورت ..

وفي سرعة مذهشة ، دار (أدهم) بالهليكوبتر

مرة أخرى ، ثم ارتفع بها ، وانخفض ، ومال يمينا
ويساراً ، قبل أن ينخفض أكثر وأكثر ، وهو ينقض
على المبنى ذي الطابقين مباشرة ..

وانعقد حاجبا السنيورا في شدة ، وهي تتابع تلك
المناوراة المعقدة ، وتمتمت شفاتها ، دون وعى منها :
- مستحيل ! ذلك الشخص ، الذي يقود الهليكوبتر
بارع إلى درجة مذهلة !! يا للشيطان ! أمن الممكن
أن ..

قبل أن تتم عبارتها ، كان (أدهم) ينحرف
بالهليكوبتر بغتة ، قبل أمتار قليلة من بلوغ المبنى ،
ثم يدور بها بزواوية مخيفة ، حتى إن مروحتها الكبيرة
كادت ترتطم بسطح المبنى بالفعل ..

وبنفس سرعة دورانه ، وبوساطة محترفي التوجيه
عن بعد ، مال الصاروخ ليواصل مطاردته ، و ...

ولكن هؤلاء الخبراء فشلوا في منحه زاوية الدوران
الصحيحة ، بهذه السرعة المدهشة .. ومال الصاروخ
درجتين منويتين فحسب ..

ومع الاقتراب الشديد ، كان لهاتين الدرجتين أثر
مدهش ..

لقد اقترب الصاروخ أكثر وأكثر من سطح المبنى ..
وارتطم به ..
وانفجر ..

انفجر عند السطح ، وطاح بجزء كبير من زاوية
المبنى ، في نفس الوقت الذي انطلقت فيه الهليوكوبتر
مبتعدة ، ومتفادية شظايا الانفجار ، قبل أن تعاود
الانقضاض مرة أخرى على المبنى والساحة الكبيرة ،
التي تفصله عن المفاعل النووي ..
وانعقد حاجبا السنيورا أكثر وأكثر ، وهي تتمتع :
- مستحيل ! رجل واحد فقط ، يمكنه أن يفعل هذا ..
رجل وا ..

قبل أن تتم عبارتها ، استقبلت أجهزة الاتصال
اللاسلكي لديها ضحكة ساخرة عالية ، لم تكذ تسمعها ،
حتى انتفض جسدها كله في عنف ، وصرخت بكل
ما يعتمل في كيانها :
- إنه هو .

أناها صوت (أدهم) ، وهو يقول بالأسبانية :
- مرحى يا سنيورتى العزيزة .. ها نحن أولاء نلتقى
مرة أخرى .

قالها ، وهو يلقي كومة ضخمة من القنابل ، عند
المبنى ذى الطابقين ، والساحة الملحقة به ..
وتفجرت كل تلك القنابل دفعة واحدة ، وانطلقت
منها أطنان من الدخان الكثيف ، والسنيورا تصرخ ،
عبر كل أجهزة الاتصال :
- حالة طوارئ قصوى .. فليتخذ كل موقعه على
الفور .. أطلقوا صاروخين موجهين نحو الهليوكوبتر ..
بل ثلاثة صواريخ دفعة واحدة .
وعبر أجهزة الاتصال اللاسلكي ، استقبل (أدهم)
ذلك الأمر أيضا ، فدار بالهليوكوبتر دورة قصيرة ،
وهو يغمغم :

- أعتقد أن الساحة صارت معدة للقتال بالفعل .
ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت خلفه الصواريخ
الثلاثة الموجهة ..
وكانت النتيجة محسومة هذه المرة ..
ربما كانت براعته المدهشة قادرة على مراوغة
صاروخ موجه ، بكل من خلفه من خبراء ، وما خلفه
من أجهزة توجيه دقيقة ..
أما بالنسبة لثلاثة صواريخ دفعة واحدة ، فالنتيجة
محسومة مسبقا ..

لن يمكن أن تنجو الهليوكوبتر ..

لن يمكنها أن تنجو أبداً ..

مهما فعلت ..

★ ★ ★

لم تكد قنابل الدخان تنفجر ، في ساحة المبنى وداخله ،
وتغمر المكان بسحبها الكثيفة ، حتى هتفت (جيهان) ،
من فوق القمة ، التي تطل على الوكر مباشرة :
- الآن .

وفي لحظة واحدة تقريباً ، أطلقت هي و (منى)
خطافين قويين ، من بندقيتين خاصتين ، فأتلق كل
خطاف ، جاذباً خلفه حبلاً قوياً ، حتى انغرس في ذلك
المبنى ، الذي غمره الدخان ..

ودون أدنى تردد ، وبتعاقب مدهش ، قفزت كل
منهما من القمة ، متعلقة بخطاف معدني آخر ،
وانزلق جسدهما مع درجة ميل الحبل ، في سرعة
مدهشة ، حتى بلغتا ذلك المبنى ، وسط الدخان ،
الذي أعمى عيون الجميع ، فصاحت (جيهان) :

- هجوم يا (منى) .. تذكرى أن (أدهم) يعتمد

علينا .

صاحت بها (منى) ، وهي تحمل مدفعها الآلى ،
مرتدية قناعاً واقياً من الغازات ، وتثب نحو إحدى
نوافذ المبنى :

- تذكرى أنتِ يا (جيهان) ؛ فأنا الأعلى رتبة .

ومع آخر حروف كلماتها ، اقتحمت النافذة في
عنف ، وهبطت داخل الطابق الثاني من المبنى ،
ولحقت بها (جيهان) ، عبر نافذة أخرى ..
ودون إضاعة لحظة واحدة ، انطلقت رصاصاتهما
تحصد كل من يعترض طريقهما ..

وانطلقتا عبر المبنى كله ، في طريقهما إلى الطابق
الأرضى ..

وفي الوقت نفسه تقريباً ، كان (بترو) ينقض
على الرجال ، الذين أغشى الدخان الكثيف عيونهم في
الساحة ..

وعلى الرغم من إصابته ، والقناع الذي يغطى
وجهه ، والذي لم يألفه من قبل قط ، كانت قبضته
تجد طريقها إلى الرجال في سهولة ، فتحطم أنف هذا ،
وتسحق فك ذاك ، وتكسر رأس ثالث ، أو رابع ،
أو خامس ..

ولكن السنيورا لم تكن تهتم بما يحدث في المبنى
أو الساحة ..

لم يكن يعنىها سوى ما يحدث هناك ..
في سماء (فيلامونتر) ..

كانت بكيانها كله تتابع هليوكوبتر (أدهم) ، التي
أطلقت خلفها ثلاثة من صواريخها الموجهة في آن
واحد ..

وعلى الرغم من ثقنها الشديدة ، في أن نجاة
الهليوكوبتر من هذه الباقية من الصواريخ أمر مستحيل ،
إلا أن قلبها راح يخفق في سرعة وعنف ، وهي تتابع
ما يحدث على الشاشة ، مغممة :
- هيا .. اتسفوه .. اسحقوه سحقاً ..

كان جسدها كله ينتفض ، من فرط الانفعال ، وهي
تتابع الهليوكوبتر ، التي دارت حول نفسها ، وانخفضت
على نحو مدهش ، ثم عادت ترتفع في سرعة ،
والصواريخ الثلاثة تتبعها في إصرار ..

ثم رأت الهليوكوبتر تنقض على المبنى ، كما فعلت
في المرة السابقة ، فضمت قبضتها ، هاتفة في حدة .
- لا يا (أدهم) .. مستحيل ! ليس في كل مرة

تسلم الجرة .



ومع آخر حروف كلماتها ، اقتحمت النافذة في عنف ،
وهبطت داخل الطابق الثاني من المبنى ..

٨ - الجولة الأخيرة ..

من المؤكد أن (منى) و (جيهان) ، كواحدتين من أفضل من عملن في المخابرات العامة المصرية ، وفي إدارة العمليات الخارجية الخاصة بالتحديد ، قد تلقيتنا أفضل تدريبات ممكنة ، بالنسبة لعمليات الاقتحام ، والمواجهة المباشرة ، مع أعنف وأقوى العناصر الإرهابية أو العسكرية ..

ومن المؤكد أيضا أن تلك العقاقير البدائية ، التي تناولتها (منى) ، منذ بضع ساعات ، قد أتت ثمارها على نحو مدهش ، فقد كانت تتحرك إلى جوار (جيهان) ، بنفس السرعة والخفة والنشاط ، وكأنما زالت عنها إصاباتنا السابقة تماما ، واستعادت كل حيويتها ونشاطها كاملين ..

وربما كان هذا هو السر ، في أنهما راحتا تشقان طريقهما بسرعة مدهشة ، وسط رجال السنيورا ، الذين أعمتهم سحب الدخان ، وأربكهم ذلك الهجوم

كانت الهليوكوبتر تتجه نحو المبنى مباشرة ،
والصواريخ الثلاثة تتبعها بسرعة مذهلة ..
ثم لحقت بها كلها في آن واحد ..
وصرخت السنيورا بكل مشاعرها :
- اسحقوه .

ومع آخر حروف كلماتها ، دوى الانفجار الرهيب ..
الانفجار الذي سحق الهليوكوبتر الحربية ..
سحقًا .



المباغت ، الذى أكدت لهم رئيستهم أنه لن يحدث
أبداً ، بعد أن وجهت إنذارها إلى العالم بالفعل ..
ولعل هناك سبباً آخر ، لتخاذل رجال السنيورا ، فى
تلك اللحظات العنيفة ..

فالمقاتل من أجل مبدأ ما ، يختلف حتماً عن القتال
من أجل المال ..

مهما بلغت ضخامة هذا المال ..
فالمقاتل من أجل المبدأ ، لا يقلقه كثيراً أن يموت
أو يحيا ، وإنما يعنيه فحسب أن ينتصر مبدؤه ..
أما المقاتل من أجل المال ، فهو يدرك جيداً أنه لا بد
أن يظل على قيد الحياة ، حتى يمكنه إنفاق هذا
المال ..

والفارق واضح جلى ..

وشديد الأهمية ..

والخطورة ..

فالرجال الذين التفوا حول السنيورا ، والذين قاتلوا
طوال الوقت ، بكل العنف والشراسة ، كانوا يقاتلون
بافتراض واحد فحسب ..

أنهم سينتصرون على طول الخط ..

وسيحصلون على المال ..

ومعه على كل متع الدنيا ..

لذا ، فقد انهارت قلوبهم ، مع أوّل لمحة للهزيمة ..

ومع أوّل احتكاك مع عمالقة حقيقيين ..

عمالقة الجبال ..

ومع ذلك المزيج من الدخان ، ودوى الرصاصات ،
والرعوس التى تحطمها قبضتا (بترو) ، الذى استغل
سحب الدخان ، ليقفز عبر البوابة الضخمة إلى
الساحة ، انطلق مرتزقة السنيورا نحو هدف واحد ..
أن ينجو كل بحياته ..

ولكن (منى) و (جيهان) لم يسمحا لمعظمهم بهذا ..
لقد شقا طريقهما حول الطابق الأرضى برصاصات
مدفعيهما ، حتى أوقعت (جيهان) بأحد رجال
السنيورا ، وهوت بكعب مدفعها على معدته ، ثم
ركلته فى فكه ، عندما انثنى من فرط الألم ، وانقضت
تحيط عنقه بساعدها فى قسوة ، هاتفة :

- أين السنيورا؟! أين قائدكم!؟

كان الرجل يخنق ، ويشعر بذعر هائل ، ولكنه
لوّح بذراعيه ، صائحا :

- لست أدري .. أقسم إننى لست أدري .

صاحت به (جيهان) :

- أين سنيورتكم أيها الوغد؟! أخبرنى وإلا حطمت

عنقك !

ضرب الرجل الهواء بذراعيه ، وجحظت عيناه فى

شدة ، وهو يقاتل لالتقاط بعض أنفاسه ، وهو يقول :

- أقسم لك إننى أجهل هذا .. كلنا نجهله .. قلائل

هم من التقوا بها شخصياً .. إننا نتلقى التعليمات من

طاقمها ، أو عبر مكبرات الصوت الداخلية فحسب ..

أقسم لك .

هتفت (جيهان) فى حنق :

- تلك اللعينة تجيد المحافظة على سريتها للغاية .

صاحت بها (منى) :

- أسرعى يا (جيهان) .. (أدهم) طلب منا ألا نبقى

داخل هذا المبنى أكثر من ست دقائق .

قالت (جيهان) ، وهى تهوى على مؤخرة عنق

الرجل بلكمة قوية :

- فليكن .

وانطلقتا تعدوان مرة أخرى نحو المخرج ، وقد

اتخفض تواجد رجال السنيورا إلى الحد الأدنى ، و ..

وفجأة ، وقبل بلوغهما المخرج بعدة أمتار ، دوى

انفجار هائل ..

وارتجّ المبنى كله فى عنف شديد ..

ثم راحت أجزاء منه تنهار على نحو مخيف ..

وبكل ذعرها ولوعتها ، هتفت (منى) :

- يا إلهى ! (أدهم) .. هل ..

دفعتها (جيهان) أمامها فى قوة ، قبل أن تكمل

عبارتها ، وهى تهتف فى عصبية :

- فيما بعد .. فيما بعد ..

اندفعتا خارج المبنى فى اللحظات الأخيرة ، قبل أن

ينهار نصفه دفعة واحدة ، بدوى رهيب ، وتتصاعد

مع انهياره سحب هائلة من الغبار والدخان ..

وعلى الرغم من القناع الواقى ، الذى يخفى وجهها

سعلت (منى) فى قوة ، هاتفة :

- رباه ! أخشى أن يكون (أدهم) قد ..

قاطعتها (جيهان) فجأة ، وهى تقول فى انفعال :

- (منى) .. انظرى هناك .

أدارت (منى) عينيها إلى حيث تشير (جيهان) ،

وانعقد حاجباها في شدة ، وهي تتطلع ، عبر سحب
الغبار والدخان الكثيفة إلى ما بدا وكأنه مبنى صغير
من طابقين ، كان يختفي خلف ذلك المبنى المنهار ،
وقالت في عصبية :

- ما هذا بالضبط !؟

جذبتها (جيهان) ، قائلة في حزم :

- يبدو لي أشبه بمركز قيادة .

رددت (منى) ، وهي تعدو إلى جوارها نحو ذلك
المبنى :

- مركز قيادة !؟

أطلقت (جيهان) رصاصات مدفعها الآلى فى
غزارة ، وهما تندفعان نحو ذلك المبنى ، على الرغم
من أن سحب الدخان والغبار كانت تمنعهما من رؤية
ما إذا كان هناك طاقم حراسة حوله أم لا ..

وعندما بلغتا المبنى ، هتفت (منى) :

- أنت على حق يا (جيهان) .. إنه يبدو أشبه
بمركز قيادة بالفعل .

اندفعتا تفتحمان المكان فى قوة وعنف ، وانطلقت
رصاصاتهما فى كل اتجاه ، حتى اتبعتها ، لدهشتها ،
إلى أن المكان كان خاليا تماما ..

وداخل تلك الحجرة ، التى تحوى كل شاشات
الرصد ، وقفنا تديران عيونهما فيما حولهما فى
انبهار ، قبل أن تهتف (جيهان) :

- رياه ! إنه ليس مجرد مركز قيادة تقليدى
فحسب .. إنه تحفة ، على أى مقياس تكنولوجى
عسكرى .

وقالت (منى) فى انفعال :

- كيف أمكنها بناء كل هذا ، فى قلب الجبال !؟

هزت (جيهان) رأسها ، مجيبة :

- (أدهم) على حق .. إنها تتلقى تمويلاً رهيباً ،
من مكان ما .

ثم اندفعت تغادر تلك الحجرة ، مستطردة فى حزم :
- أراهن على أننا سنجد المزيد ، فى باقى حجرات
المبنى .

راحتا تفحصان الحجرات فى سرعة ، حتى بلغتا
حجرة السنيورا الخاصة ، فهتفت (جيهان) فى
انبهار :

- انظرى .. تلك الأفعى أحاطت نفسها بكل وسائل
الرفاهية والفخامة .. هل رأيت هذا الفراش يا (منى) !؟

ولما لم تتلق جواباً ، التفتت إليها ، هاتفة :

- منى .. هل ..

ولكنها بترت سؤالها بغتة ، قبل أن تكمله ، وانعقد حاجباها في شدة ، وهي تحدق في الصورة الكبيرة ، التي تحدق فيها (منى) في انفعال شديد ..

صورة تلك المرأة الفاتنة ، التي تحتل مساحة ضخمة من الجدار ، على نحو يوحي بأن صاحبها تعاني نرجسية هائلة لا مثيل لها ..

المرأة التي يؤكد كل من عرفها ، أنها أجمل وأشرس وأعنف وأقسى امرأة عرفها التاريخ ..

صورة (سونيا) ..

(سونيا جراهام) ..

★ ★ ★

عندما أطلقت السنيورا صرختها ، داخل مركز قيادتها ، كانت تتصور أن الصواريخ الثلاثة ، التي لحقت بالهليوكوبتر ، وأصابها في مقتل ، قد أنهت بانفجارها أصعب مشكلة تواجهها ، في الكون كله ..

تلك المشكلة التي تحمل اسم (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

ولكن صرختها لم تكن قد انتهت بعد ، ودوى الانفجار لم يكن قد اكتمل ، عندما لمحت جسد (أدهم) ، وهو يطير في الهواء ، خارج الهليوكوبتر ، قبل أن تفتح المظلة المعلقة على ظهره فجأة ، لتخفف من سرعة هبوطه نسبياً ، وهو يتجه نحو ساحة المبنى ، حاملاً مدفعين آليين في آن واحد ..

لم يكن فتح مظلة الهبوط كافياً لخفض السرعة إلى الحد المناسب ، من هذا الارتفاع المنخفض ، ولكنها خففت من عنف الهبوط ، خاصة وقد اتخذ (أدهم) الوضع المناسب للسقطة ، فضم ركبتيه إلى صدره ، وأحاطهما بذراعيه ، وهو يمسك المدفعين الآليين بكل قوته ..

وعلى الرغم من اشتعال النيران في مظلة الهبوط ، من جراء الانفجار ، ومن عنف ارتطام جسد (أدهم) بالأرض ، إلا أنه هبّ واقفاً على قدميه في سرعة ، في نفس اللحظة التي اصطدمت فيها الهليوكوبتر ، مع ذلك الانفجار الرهيب ، بالمبنى ذي الطابقين ..

وفي غضب هائل ، ارتجف له كياتها كله ، هتف السنيورا ، وهي تتابع ذلك المشهد على شاشات الرصد :

- اللعنة ! اللعنة !

كانت كل ذرة في كيانها تنتفض بانفعال جارف ،
وبغضب وحنق وسخط لا مثيل له ..

لقد اتهار مشروعها النووي ، الذي بذلت من أجله
أقصى طاقتها ..

اتهار بسبب رجل واحد ..

رجل لم تنجح في القضاء عليه ، على الرغم من
كل ما فعلته ، وكل ما أعدته من أجله ..

رجل لم تبغض في الدنيا أحداً مثلما تبغضه ..

وبكل ما يتفجر في أعماقها من مشاعر لا حصر
لها ، هتفت :

- لم ينته الأمر بعد يا (أدهم صبرى) .. لم ينته

كل شيء بعد ..

نطقت عبارتها ، وغادرت مركز قيادتها ، واندفعت

نحو المفاعل الذري ، واقتحمته في عنف ، وهي

تهتف برجال حراسته في صرامة :

- أغلقوا كل الأبواب .. أنزلوا الحواجز .. استعدوا

لتنفيذ خطة الطوارئ القصوى رقم صفر .

لم تكذب عبارتها حتى وقع بصرها على (لورانزو) ،

في حالة مزرية ، وقد تقطعت ثيابه ، وامتلاً جسده
بعشرات السحجات والكدمات ، فهتفت به :

- ماذا أصابك !؟

هتف بها بدوره في حزم :

- بل أخبريني ما الذي ينبغي عليّ فعله يا سنيورا ..

أنا رهن إشارتك سأنفذ كل ما تأمريني به ، لإنقاذ
المشروع .

أشعلت واحدة من سجائرهما ، وهي تقول في عصبية :

- المشروع انتهى يا (لورانزو) .. لم يعد هناك

أمل في إنقاذه .

إنك ورجال الحراسة الأربعة آخر من تبقى هنا ..

رجالنا الجبناء فروا كالفران ، عندما بدأت السفينة

في الغرق .. الأوغاد كلهم تخلوا عني .

قال في حزم ، وهو يمسك مدفعه الآلي في قوة :

- سنقاتل كلنا حتى آخر قطرة دم يا سنيورا .

رمقته بنظرة دهشة ، لم تلبث أن استحالت إلى

نظرة غامضة ، وهي تقول :

- كلاً يا (لورانزو) .. إنك ستفعل شيئاً آخر .

أجابها في حزم وحماس :

- كلى رهن إشارتك يا سنيورا .

التقى حاجباها في صرامة شديدة ، وهي تقول :

- سننذ الخطة رقم صفر .

بدت عليه الدهشة ، وهو يغمغم :

- الخطة رقم صفر !؟

أجابته في حزم :

- نعم يا (لوراتزو) .. الخطة رقم صفر ، هي

خطة للطوارئ القصوى .. لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .

برز (استروتيسكى) في تلك اللحظة ، وهو يقول

مضطرباً :

- ما الذى ستفعلينه بنا يا سنيورا !؟

نفثت دخان سيجارتها في وجهه ، وهي تقول في

صرامة :

- اطمئن يا رجل .. ما زلت بحاجة إليكم .

قال (دى مال) في عصبية :

- ما زلت بحاجة إلينا !؟ وكيف هذا !؟ أنت قلت

بنفسك ، منذ لحظة واحدة إنه لم يعد هناك أمل في

إنقاذ المشروع .

صاحت به في صرامة :

- ليس هذا من شأنك .

ثم أشارت إلى (لوراتزو) ، مستطردة في صرامة :

- قد هؤلاء العلماء الأربعة ، غير ذلك الممر

الطويل ، وحتى نهايته ، وهناك ستجد قاطرة صغيرة ،

وعليها كل تعليمات التشغيل .. نفذ ما ستقرؤه على

مقودها بمنتهى الدقة .. هل تفهم يا (لوراتزو) !؟

أوما الشاب برأسه في حزم ، قائلاً :

- نعم يا سنيورا .. بمنتهى الدقة .

أشارت إليه في صرامة شديدة ، وهي تقول :

- أهم ما في الأمر هو ألا تفكر يا (لوراتزو) ..

لا تقم رأيك الشخصى في الأمر ، مهما كان الثمن ..

فقط نفذ التعليمات بمنتهى الدقة .

أوما (لوراتزو) برأسه في حماس ، قائلاً :

- اطمئن يا سنيورا .. اطمئننى .

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، ثم أشارت إلى

جنود الحراسة الأربعة ، قائلة :

- القاطرة مجهزة لحمل ستة أشخاص فحسب ..

أنت وهؤلاء العلماء الأربعة ، وأحد هؤلاء الحراس ..

انتقى أفضلهم ليصحبك .

سألها في قلق :

- وماذا عنك يا سنيورا !؟

اتعقد حاجباها في شدة ، وهي تقول :

- لا شأن لك بأمرى .. سألحق بكم ، عندما أنتهى

من آخر مهمة لى هنا ..

قال فى توتر :

- سنيورا .. إننى مستعد للبقاء هنا ، وإتمام كل

ما تأمريننى به ، و ..

قاطعته فى صرامة غاضبة :

- قلت لك لا تفكر يا (لورازو) .. نفذ الأوامر

فحسب .

احتقن وجهه ، واتعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

- كما تأمرين يا سنيورا .. كما تأمرين .

هتف بها البروفيسير (بولاسكى) فى زعر :

- ما الذى ستفعلينه بنا يا سنيورا !؟ إلى أين

سيصطحبنا هذا الرجل !؟

صرخت فيه ثائرة :

- قلت لا شأن لكم بهذا .. أطيعوا الأوامر ، وإلا

نسفنا رءوسكم بلا رحمة .. هيا .

استسلم العلماء الأربعة لأوامرها ، وتركوا (لورازو)

يقودهم إلى مصير مجهول ، فى حين اتجهت هى إلى

حجرة الأمن ، وهى تقول لجنود الحراسة الثلاثة ،

الذين تبقوا إلى جوارها ، فى صرامة شديدة :

- اتخذوا مواقعكم عند مدخل المكان .. لا تسمحوا

لأى مخلوق بالدخول ، حتى أنتهى من عملى هنا .

اتخذ الرجال الثلاثة موقعهم ، فى حين راحت هى

تتعامل فى سرعة مع جهاز الكمبيوتر فى حجرة

الأمن ، وهى تقول لنفسها فى عصبية :

- سترى ما سأفعله يا (أدهم صبرى) .. سترى

كيف أنه من العسير أن تحقق انتصاراً كاملاً مع

السنيورا .

شاهدت ثلاث نقاط تتألق على شاشة الكمبيوتر ،

فتألفت معهم عيناها ، وهى تكمل :

- عظيم .. لقد بدأ برنامج الإبادة الشاملة .

ثم نهضت ، والتفتت إلى رجال الحراسة الثلاثة ،

مستطردة :

- بقيت نقطة أخيرة .

اعتدل أحد الرجال الثلاثة ، عندما رآها تتطلع إليه ،

وسألها فى احترام :

- أتأمريننا بشيء آخر يا سنيورا!؟

هزت رأسها نفياً ، وقالت بابتسامة غامضة :

- كلاً يا رجل .. لقد أديتم كل ما أمرتكم به بمنتهى الدقة في الواقع ، ولكن المشكلة أنكم وحدكم شاهدتم وجهي ، ويمكنكم وصفه للآخرين .

بدت الحيرة على وجه الرجل ، وهو يغمغم :

- ماذا تقصدين بالضبط يا سنيورا!؟

ارتفعت فوهة مسدسها في وجوههم فجأة ، وهي تقول :

- أعني أن وجودكم على قيد الحياة ، صار يتعارض مع خططي المستقبلية .

اتسعت عيون الرجال الثلاثة في ذهول ، فانتقلت رصاصتها الأولى تنسف رأس أولهم ، قبل أن يفيق من ذهوله ، ثم دارت فوهة مسدسها في سرعة ، لتطلق رصاصتها الثانية ، التي غاصت في قلب الثاني ، فرفع الثالث مدفعه الآلي ، هاتفاً في غضب :

- اللعنة ! أبعد كل ما بذلناه من أجـ ..

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت رصاصتها الثالثة لتخترق منتصف جبهته تماماً ، فأتسعت عيناه في ألم وذهول ، وهوى جثة هامدة ..

وفي سرعة ، ودون أن تلقى نظرة واحدة على من غدرت بهم ، اندفعت السنيورا نحو حجرة مغلقة برتاج إلكتروني ، في نهاية المكان ، في نفس اللحظة ، التي ارتفع فيها صوت آلي ، يقول :

- بدء خطة الإبادة الشاملة .. إنذار إلى الجميع .. يتم إخلاء المباني طبقاً لتسلسل عمليات التفجير .. المبنى الرئيسي ينفجر بعد ثلاثين ثانية .. مركز القيادة بعد دقيقة واحدة .. المفاعل يتم تفجيره خلال ثلاث دقائق .. عضت شفتها السفلى في حنق ، وهي تضغط أزرار الرتاج الإلكتروني برقمه السري في سرعة ، مغممة :
- ستدفع ثمن كل حجر يتهدم يا (أدهم) .. ستدفع ثمن كل حجر .

انفتح الباب في هدوء ، فألقت نظرة على ذلك الزى داخله ، وهي تقول في انفعال :

- كنت واثقة من أنك ستحسم الأمر في النهاية .
نطقتها ، وهي تتطلع إلى ذلك الزى ، الذي بذلت الكثير من الجهد والمال ، للحصول عليه ..
زى المشروع ..

مشروع (السوبرمان) ..

★ ★ ★

فجأة ، انطلق ذلك التحذير الآلى ، داخل مركز القيادة ، فالتفتت (منى) و (جيهان) إلى بعضهما بحركة حادة ، وهتفت الأخيرة :
- دقيقة واحدة .

قالتها ، فانطلقتا تعدوان بأقصى سرعتهما خارج المبنى ، وما إن غادرتاه ، حتى لمحتا (أدهم) و (بترو) ، فى منتصف الساحة ، التى انقشعت عنها سحب الدخان ، وخلت تمامًا من رجال السنيورا ، باستثناء الصرعى وفاقدى الوعى منهم ، وصاح بهما (أدهم) :

- أسرع .. لقد سمعنا التحذير .

هتفت به (منى) ، وهى تعدو نحوه :

- (أدهم) .. لن تصدق ما عثرنا عليه فى مركز القيادة .

وثب يجذبها إليه ، وهو يهتف :

- فيما بعد يا (منى) .. فيما بعد .

قفزت (جيهان) إلى الأمام ، وألقت نفسها أرضًا ،

وهى تحمى رأسها بذراعيها ، هاتفة :

- سينفجر المبنى الرئيسى الآن ..

ومع آخر حروف كلماتها ، دوى الانفجار ..
انفجار عنيف ، نسف ما تبقى من المبنى ذى الطابقين ، وغمر المكان مرة أخرى بعاصفة من الغبار والرمال والدخان ، فهتفت (جيهان) :

- تلك اللعينة ستسف كل شيء .

صاح (أدهم) ، وهو ينهض فى حزم :

- لو نجحت فى نسف المفاعل الذرى ، ستتعرض المنطقة كلها لكارثة رهيبية .

سأله (بترو) بالبرتغالية :

- لماذا نبقى هنا يا (أومو بيليجروسو) ؟! المكان خال تمامًا .

أدار (أدهم) عينيه فيما حوله ، وهو يقول فى صرامة :

- هل تعتقد هذا حقًا ؟!

لم يكذب يتم عبارته ، حتى انفتحت بوابة المفاعل الذرى فجأة ، فهتفت (جيهان) :

- (أدهم) .. انظر هناك .

استدار (أدهم) و (بترو) و (منى) ، فى آن واحد ، إلى بوابة المفاعل الذرى ..

ومع استدارتهم هذه ، دوى انفجار آخر ، سحق
مركز القيادة سحقاً ، ودفع أربعتهم أمامه فى قوة ،
ليسقطوا فوق رمال الساحة بعنف شديد ..
وفى نفس لحظة سقوطهم ، برزت السنيورا من
بوابة المفاعل ..

برزت فى الزى نفسه ..

زى (السوبرمان) ..

واتسعت عينا (جيهان) فى شدة ، وهى تهتف :

- رباه ! ليس مرة ثانية !!

أما (منى) ، فقد انعقد حاجباها ، وهى تغمغم

ذاهلة :

- ما هذا الشيء بالضبط !؟

صاح بهم (أدهم) فى صرامة :

- ابتعدوا .. تفرقوا فى الساحة .

وبحركة آلية ، ودون تفكير ، انطلقت (منى)

(جيهان) تعدوان مبتعدتين ، فى اتجاهين مختلفين ،

فى حين تردّد (بترو) فى عصبية ، فصرخ فيه

(أدهم) بالبرتغالية :

- ابتعد يا رجل .. اتج بحياتك .

التقى حاجبا (بترو) فى شدة ، وتسمّرت قدماه
فى مكاتهما ، وهو يحدّق فى الجسم الطائر ، الذى
انطلق نحو (أدهم) مباشرة ، متجاهلاً (منى)
و (جيهان) ..

وبكل انفعالها ، هتفت السنيورا ، وهى تضغط زر

إطلاق النيران فى الزى :

- اذهب إلى الجحيم يا (أدهم) .. اذهب إلى الجحيم .

انطلقت الرصاصات خلف (أدهم) ، وهو يعدو

بأقصى سرعته ، فى خط متعرج ، متفادياً تلك

الرصاصات ، بأبرع وسيلة ممكنة ، ولكن السنيورا

طارت بالزى متجاوزة إياه ، ثم استدارت تواجهه ،

قائلة فى غضب :

- لن يمكنك الفرار هذه المرة يا (أدهم) .. لن

يمكنك الفرار قط .

قالتها ، وضغطت زر إطلاق الصواريخ ، فانطلق

من زى (السوبرمان) صاروخ رفيع ، شق طريقه

نحو (أدهم) ، الذى وثب بكل قوته ، و ..

وانفجر الصاروخ خلفه فى عنف ..

ومع موجة الانفجار القوية ، طار جسده ثلاثة

٩ - الختام ..

تلقى حاجبا وزير الدفاع البوليفي في شدة ، وهو يستمع إلى مساعده ، الذي راح يتلو عليه تقريرا عاجلا ، من قيادة القوات الجوية ، قائلا :
- ولم تتمكن المقاتلات من العثور على الهليوكوبتر الحربية المفقودة ، إلا أن تلك التي اتجهت نحو الجنوب الشرقي ، والتي بلغت منطقة الجبال ، حول (فيلامونتر) رصدت قتالا عنيفا ، يدور في منطقة ما ، وسط سلاسل الجبال هناك ، وقيادة القوات الجوية تسأل عما إذا كان عليها التدخل في الأمر أم لا .

سأله الوزير في توتر :

- وما نوع ذلك القتال !؟

خفض مساعده التقرير ، قائلا :

- يقولون إنه أشبه بحرب صغيرة يا سيدي الجنرال .

تضاعف توتر الوزير ، وهو يقول :

- هذا لم يرد في التقرير .

أمتار كاملة إلى الأمام ، ثم ارتطم بالأرض ، وتدحرج فوقها في عنف ، وقد انفجرت إحدى شظايا الانفجار في كتفه اليسرى ، وتفجرت الدماء من موقعها في قوة ..

وتألمت عينا السنيورا ، وهي تدور بالزى ، لتواجه (أدهم) ، هاتفة في ظفر :

- خسرت يا (أدهم) .. خسرت .

قالتها ، وهي تضغط زر إطلاق الصاروخ الثاني ، مصوِّبة إياه نحو (أدهم) .. مباشرة .

★ ★ ★



تنهّد المساعد ، قبل أن يقول :

- لقد أبلغني به قائد القوات الجوية شفاهة ياسيدى الجنرال ، والواقع أن صوته كان يشفأ في وضوح عن أهمية الأمر وخطورته .

صمت وزير الدفاع لحظة ، غمغم خلالها ، وكأنه يحدث نفسه :

- أخشى ما أخشاه أن ..

لم يتم غمغمته هذه ، وإنما اتهمك في التفكير لحظة أخرى ، ثم رفع رأسه إلى مساعده في حركة حادة ، تشفأ عن أنه قد حسم أمره ، وقال في حزم :

- فيم انتظارهم إذن !؟

ثم رفع هاتفه الأحمر الخاص ، واتصل مباشرة بقائد القوات الجوية ، قائلاً :

- انطلقوا يا رجل .. على بركة الله .

وأنهى المحادثة في سرعة ..

وحزم ..

★ ★ ★

فجأة ، انطلقت في المكان صرخة قوية ..
صرخة تحمل صوت (بترو) ، الذي انطلق يعدو

نحو السنيورا ، التي تحلق على ارتفاع ثلاثة أمتار من الأرض ، وتصوب صاروخها نحو (أدهم) ، و ..
وقفز (بترو) ..

قفز قفزة مذهلة ، بجسده الهائل الضخم ، وكأنما يدافع عن كياته هو ، وليس عن (أدهم) ..

قفزة جعلته يتعلق بجسد السنيورا ، داخل زيبها الخارق ، وهو يصرخ :

- لا .. لن تمسى (أومو بيلجيروسو) بسوء .

اختل توازن السنيورا ، مع ذلك الثقل الهائل المباغت ، وانخفض جسدها دفعة واحدة ، فانطلق صاروخها الثانی ، ليعبر فوق جسد (أدهم) ، ويواصل انطلاقه ، حتى يرتطم بالصخور ، وينفجر عندها في عنف ..

وفي اللحظة نفسها ، هبّ (أدهم) من سقطته ، وانطلق يعدو نحوها بدوره ، وهي تصرخ في غضب :

- ابتعد أيها الزنجى الوغد .. ابتعد .

كان (بترو) يتشبّث بها بكل قوته ، فاستلّت خنجراً من زيبها ، وهوت به على عنقه ، صارخة :
- اذهب إلى الجحيم .



في نفس اللحظة ، التي وثب فيها (أدهم) .. كانت هي تحاول
الارتفاع بزيها ، عندما تعلق بها بغتة ..

انفجر الخنجر حتى مقبضه في عنق (بترو) ،
فحفظت عيناه عن آخرهما ، وتخاذلت ذراعاه ،
المتشبثتين بجسدها ، فهوى ليرتطم بالأرض في
عنف ..

في نفس اللحظة ، التي وثب فيها (أدهم) ..
كانت هي تحاول الارتفاع بزيها ، عندما تعلق بها
بغتة ، وهو يقول ساخرًا :

- انتهت الرحلة يا سنيورا .

رفعت خنجرها الملوث بالدم نحوه ، فضرب
معصمها ضربة سريعة ، وهو يرتفع معها عن
الأرض ، هاتفاً :

- ليس بهذه البساطة يا سنيورتى .

زمجرت ، هاتفة في حنق :

- فلنتعم بالوسائل العنيفة إذن .

قالتها ، وضغطت زراً آخر في زيها ، فسرى في
جسده تيار كهربى مباغت ، جعله ينتفض في عنف ،
ويفلت ذراعيه ، فهوى بدوره ليرتطم بالأرض ، وهو
يشعر بالأم مبرحة ، في كل عضلة في جسده ..

وبكل غضبها وثورتها وانفعالها ، استدارت إليه

السنيوراء ، صارخة بصوتها المكتوم ، من خلف الخوذة
الداكنة ، التي تخفى وجهها كله :

- أخيراً وقعت يا (أدهم صبرى) ، وقعت فى
قبضتى .

لم يكن (أدهم) يشعر بتلك الآلام فحسب ، وإنما
كانت عضلاته منقبضة على نحو عنيف ، بحيث لم
يكن باستطاعته أن يتفادى رصاصاتها بالسرعة
المناسبة ، و ..

« لن تظفرى به قط .. »

انطلقت تلك الصرخة بغتة ، مع قبلة يدوية ،
طارت فى الهواء ، لترتطم بزي (السوبرمان) ،
وتنفجر فوقه فى عنف ..

ومع الانفجار ، تراجع جسد السنيورا فى عنف ،
لستة أمتار كاملة ، فى حين أطلقت (منى) رصاصاتها
نحوها ، مستطرده فى حزم :

- لن تنجى اليوم فيما فشلت فيه طويلاً .

لم يتأثر جسد السنيورا أو زيتها بانفجار القبلة ،
باستثناء ذلك الابتعاد الطبيعى ، مع رد فعل الانفجار ،
لذا فقد اندفعت نحو (منى) فى غضب ، صائحة :

- فليكن أيتها المتحذلقة .. دعيني أظفر بك أولاً .

هباً (أدهم) من سقطته ، على الرغم من كل
ما يشعر به من آلام ، وصرخ فى زعر :

- لا .. ابتعدى يا (منى) .. ابتعدى .

ولكن السنيورا انقضت فى زى (السوبرمان)
وضغطت زر إطلاق النار ، و ..

وانطلقت رصاصاتها تخترق ذلك الجسد البشرى
الأنثوى ..

وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

أحداث عديدة ، التقطها عقل (جيهان) ، فى
لحظة واحدة ..

(بترى) ملقى أرضاً ، والدماء تنزف من عنقه فى
غزارة ..

(أدهم) ينتنى على نفسه ، مع الآلام المبرحة فى
كل عضلة فى جسده ..

السنيورا تهاجم (منى) فى زى (السوبرمان) ..
ثم امتزجت الأحداث دفعة واحدة ..

(منى) تراجع فى يأس ، وهى تواصل إطلاق

رصاصاتها ، التي ترتد عن زى (السوبرمان) فى
عنف ..

و (أدهم) يقفز من مكانه ، متجاوزًا ومتحديًا كل
آلامه ؛ ليصرخ باسمها ، على نحو لم تسمعه ينطق
به من قبل قط ..

وتفاعلت كل تلك العوامل فى أعماقها ، فى جزء
من خمسة أجزاء من الثانية ..

ثم تحول كل هذا التفاعل إلى وثبة ..

وثبة مذهلة ، قطعت خلالها أربعة أمتار كاملة ،
لتعترض طريق الرصاصات ، التي انطلقت نحو
(منى) ، وهى تصرخ :

- لا ..

واخترقت كل رصاصات السنيورا جسدها ..
كلها ..

وصرخت (منى) فى ارتياح :

- (جيهان) ..

وأمام عينيها ، سقطت (جيهان) أرضًا ، وجسدها
مثنى بالجراح ، فى حين هبَّ (أدهم) واقفًا ، وهو
يهتف :

- يا إلهى !

استدارت إليه السنيورا ، صائحة :

- اقتصر الأمر علينا يا (أدهم) ، وسوف ..

قبل أن تتم عبارتها ، أحاطت بها فجأة موجة من
الرصاصات ، وارتفع صوت صارم ، يقول بالأسبانية :
- هنا القوات الجوية البوليفية .. استسلموا فورًا ،
وإلا أطلقنا صواريخنا على الفور .

أدارت وجهها إلى السماء ، ووقع بصرها على
ثلاث مقاتلات ، وطائرتى هليوكوبتر حربيتين ، وكلها
تحلق فوق وكرها ، فعضت شفتيها ، قائلة فى غيظ
ساخط :

- يبدو أن القدر يصر على أن نكمل لعبتنا فى جولة
قادمة يا (أدهم) .

قالتها ، وضغطت زر الانطلاق بالسرعة القصوى ،
فانطلق جسدها إلى أعلى ، ومال فى خط مواز للأرض ،
واندفع إلى الأمام كالصاروخ ، على نحو جعل قائد
إحدى المقاتلات الثلاث يهتف ذاهلاً :

- رباه ! ما هذا بالضبط !؟

بداله ذلك الجسد الطائر ، وهو ينخفض فجأة ،

ليختفى وسط سلاسل الجبال ، فضغط زر الاتصال
اللاسلكى ، وقال فى صوت لم يفارقه الذهول بعد :

- من السرب الثالث إلى القاعدة .. تم رصد جسم
طائر مجهول الهوية .. هل .. احم .. هل نتعقبه !؟
فى نفس الوقت ، الذى ألقى فيه سؤاله ، كانت
(منى) تحتضن (جيهان) هاتفة :

- (جيهان) .. يا إلهى ! (جيهان) .. لقد ضحّت
بنفسها من أجلى .. من أجلى يا (أدهم) !
فتحت (جيهان) عينيها فى صعوبة ، وتساقطت
قطرات الدم من بين شففتيها الجميلتين ، وهى تقول
بابتسامة متهاككة :

- خطأ يا عزيزتى (منى) .. خطأ .
ثم أشارت بسبابة مرتجفة نحو (أدهم) ، مضيئة :
- لقد فعلت هذا من أجله ، وليس من أجلك .
وتهاككت سبابتها مع يدها كلها إلى جوارها ، وهى
تسبل جفنيها فى بظء ، فهتفت (منى) :

- لا يا (جيهان) .. لا .. لا تذهبي بهذه السرعة .
عض (أدهم) شففته غضباً ، وهو يغمغم :
- تلك السنيورا اللعينة !

لم يكذ يتم عبارته ، حتى ارتفع ذلك الصوت الآلى ،
عبر مكبرات الصوت ، قائلاً :

- دقيقة واحدة ويتم نسف المفاعل .
هتف (أدهم) :

- يا إلهى ! المفاعل .
قالها ، وانطلق يعدو نحو المفاعل ، متجاهلاً تحذير
قائد السرب ، الذى صاح :
- توقّف وإلا ..

كان يدرك جيداً أن الرجل لن يجروا على إطلاق
رصاصة واحدة ، نحو مفاعل نرى ، لذا فقد واصل
طريقه ، واقترح المكان ، وتلفت حوله ، قائلاً فى
عصبية :

- ترى أين يتم التحكم فى عمليات التفجير هذه !؟
أين !؟ أين !؟

توقّف بصره عند كمبيوتر الأمن ، والصوت الآلى
يقول :

- أربعون ثانية ، ويتم نسف المفاعل .
انطلق (أدهم) نحو الكمبيوتر ، وراح يضرب
أزراره فى سرعة ، للدخول إلى برنامج الأمن ،
والصوت الآلى يتابع :

- ثلاثون ثانية ، ويتم نسف المفاعل .

واصل (أدهم) العمل على أضرار الكمبيوتر فى سرعة مذهشة ، متجاهلاً العد التنازلى المستفز ، الذى بدأه الصوت الآلى :

- عشرون ثانية .. تسع عشرة ثانية .. ثمانى عشرة ثانية ..

وضغط (أدهم) أزرار الكمبيوتر أسرع ..

وأسرع ..

وأسرع ..

عشر ثوان ..

تسع .. ثمان ..

سبع ..

وبضغطة زر أخيرة ، أوقف برنامج الإبادة الشاملة ،

قبل أن يتم خطوته الثالثة والأخيرة ..

وبكل ما يعتمل فى أعماقه ، أطلق زفرة ملتهبة ،

هاتفًا :

- حمدًا لله .. حمدًا لله ..

ترك جسده يسترخى على مقعده لحظة ، ثم اعتدل

فجأة ، مغمغماً :

- ترى هل ..

ودون أن يتم تساؤله ، عادت أصابعه تضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة ..

وراح يخرق دائرة الأمن كلها ..

ثم انعقد حاجباه فى شدة ..

لقد راحت تنساب أمامه ، على شاشة الكمبيوتر ،

معلومات مهمة خطيرة .. إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

« أين هو !؟ »

هتف الدكتور (محمد العفيفى) بالسؤال فى حماس ،

وهو يحمل حقيبه الصغيره ، استعداداً لمغادرة مبنى

المخابرات العامة ، والعودة إلى مسكنه فى

الإسكندرية ، فسأله رجل المخابرات المصاحب له فى

اهتمام :

- من هو يا دكتور (محمد) !؟

أجابه الدكتور (محمد) فى لهفة :

- ذلك البطل .. (ن - ١) .. العميد (أدهم صبرى) ..

لقد أخبرونى أنه قد عاد مع الباقين من (بوليفيا) ..

أريد أن ألتقى به .. أن أصافحه فحسب .. إننى مبهور

بكل ما فعله هناك .

تنهّد (أدهم) ، قائلاً :

- الأفعى لا تموت ، إلا إذا حطمنا رأسها يا سيدي ،
وتلك الأفعى لم تمت بعد .. لقد نجحت في الفرار ،
ولم يتم العثور عليها ، أو على زى (السوبرمان)
أبدًا ، ولقد عثروا داخل المفاعل على نفق طويل ،
استخدمته لنقل العلماء الأربعة إلى منطقة بعيدة ،
حيث حملتهم هليوكوبتر صغيرة إلى مكان مجهول ،
وهذا يعني أنها تنوى تكرار التجربة ، والسعى لإنتاج
مخزون نرى جديد ، في مكان آخر .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، وقال :

- ستكون بحاجة إلى وقت طويل لتفعل هذا ، وربما
نجحنا في العثور عليها ، قبل أن تبدأ مشروعًا نوويًا
جديدًا .

ثم ربت على كتفه ، مستطردًا بابتسامة هادئة .

- لقد بذلت قصارى جهدي يا رجل ، وجاءت النتائج
مرضية إلى حد كبير .

غمغم (أدهم) في مرارة :

- ولكن الثمن فادح .

هزّ المدير رأسه ، قائلاً :

هزّ رجل المخابرات رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لست أظن هذا ممكنًا يا دكتور (محمد) .

هتف خبير الهندسة النووية مستنكرًا :

- ولم لا؟! إنه ليس عميلًا سرّيًا .. أليس كذلك!؟

لقد أخبرتموني أنه رجل المخابرات الوحيد ، الذي
يعمل بصفة علنية .

تنهّد رجل المخابرات وقال :

- هذا صحيح يا دكتور (محمد) ، ولكنه عاد على

الفور من مهمة شديدة الصعوبة ، ما زالت خسائرها
تؤلمه ، ولن يمكنه الالتقاء بك اليوم .. ربما فيما بعد .

مطّ الدكتور (محمد) شفطيه في أسف ، وأومأ

برأسه متفهّمًا ، وهو يقول :

- نعم .. ربما .

في نفس اللحظة ، التي غادر فيها مبنى المخابرات

العامة ، كان مدير الجهاز يقول لـ (أدهم) في مكتبه :

- ربما كانت السنيورا قد نجحت في الفرار

يا (ن - ١) ، ولكن هذا لا يعني أن مهمتك قد فشلت ..

لقد نجحت في إيقاف مشروعها النووي ، وأنقذت

العالم كله من مصير رهيب .

- ليس إلى الحد الذي ينقل المهمة من خاتمة النجاح إلى خاتمة الفشل .. لقد تمكن الأطباء من إنقاذ حياة (جيهان) و (بترو) على الأقل .

مط (أدهم) شفتيه ، قائلاً :

- هذا صحيح ، ولكن (جيهان) لم يعد باستطاعتها العودة إلى العمليات الخارجية الخاصة مرة أخرى ، وأفضل ما يمكن أن تتمناه هو أن تحصل على وظيفة إدارية هنا ، أما (بترو) ، فسيقضى وقتاً طويلاً ، قبل أن يمكنه تحريك عنقه ثانية .

قال المدير في خفوت :

- (قدرى) و (منى) خرجا سالمين على الأقل .
أوما برأسه متفهماً ، وقال :

- نعم .. لقد ساعدتنا الأوراق ، التي زورها (قدرى) ، على الخروج من مأزق الحكومة البوليفية ، التي لم تشأ أن تثير غضب الحكومة الأمريكية ، متصورة أننا عملاء في المخابرات المركزية الأمريكية في مهمة خاصة لإنقاذ العالم .. والعجيب أن السفير الأمريكى نفسه اتخذ بأوراقنا ، وبذل قصارى جهده لإخراجنا من هناك ..

ابتسم المدير ، قائلاً :

- أراهن على أنه يتصور الآن أن مخابرات دولته تحاول خداعه ، بادعاء أنكم لستم من رجالها .

غمغم (أدهم) في خفوت :

- كان ينبغي له أن يتأكد من صحة أوراقنا ، قبل أن يفعل ما فعل .

وتنهّد مرة أخرى ، قبل أن يضيف :

- ولكن يبدو أن (قدرى) مزور بارع ، إلى حد يكفى لخداع المسئولين أنفسهم .

قال المدير موافقاً :

- الواقع أن الأوراق التي صنعها ، والتي تحمل شعار المخابرات الأمريكية ، كانت مقنعة للغاية .

تمتم (أدهم) في شرود :

- بالتأكيد .

صمت المدير بضع لحظات ، وهو يتطلع إليه ، قبل أن يسأله في اهتمام :

- ما الذى تفكر فيه بالضبط يا (ن - ١) ؟!

صمت (أدهم) بدوره بضع لحظات أخرى ، ثم

التفت إلى مديره ، مجيباً في حزم :

- فى التمويل المادى الرهيب ، الذى يساعد تلك
السنيوراء ، على فعل ما تفعله .. الكمبيوتر الخاص
بها أرشدنا إلى أربعة من عمالقة الاقتصاد ، فى ثلاث
قارات مختلفة ، يمولون تلك المشروعات القذرة ،
ولكننا لا نملك دليلاً واحداً لإدانتهم ..

قال المدير فى لهجة واثقة :

- سنعثر عليه حتماً ذات يوم .

لوح (أدهم) بكفه ، قائلاً :

- وحتى يأتى ذلك اليوم ، كم من الأبرياء

سيتعرضون للخطر ، وسيلقون مصرعهم بسبب تلك
اللعيبة ؟!

قال المدير فى حذر :

- كلنا نعلم أن (سونيا جراهام) ليست ..

قاطعه (أدهم) بإشارة حازمة من يده ، قائلاً :

- لا شىء يؤكد بعد ، أن السنيورا هى (سونيا) .

سأله المدير فى دهشة :

- وماذا عن الصورة الكبيرة ، فى حجرة السنيورا

الخاصة ، والتي ذكرتها (منى) فى تقريرها ؟!

هز رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لست أدرى ! ربما كانت محاولة للخداع ، أو
دليل على إعجاب السنيورا بـ (سونيا جراهام) ،
ولكن كل شىء آخر يوحى بأنها ليست (سونيا) .
سأله المدير فى اهتمام :

- كل شىء مثل ماذا ؟! صوتها ؟! هيئتها ؟!

صمت (أدهم) بضع لحظات ، وهو يعقد حاجبيه
فى شدة ، قبل أن يقول فى حزم :

- لست أدرى ، ولكننى لا أشعر أنها هى .

ثم هز رأسه فى قوة ، وكأنما ينفذ عنها الفكرة
كلها ، قبل أن يقول :

- ولكن هذه ليست قضيتنا الآن .. إننى أتحدث عن
عمالقة الاقتصاد الأربعة ، الذين يختفون خلف كل هذه

الأحداث العنيفة .

سأله المدير مرة أخرى :

- فيم تفكر بالضبط يا (أدهم) ؟!

أجابته (أدهم) فى صرامة :

- لو ظل هؤلاء الأربعة على موقفهم ، ستحصل

السنيوراء باستمرار على كل ما تحتاج إليه من تمويل ،

وهذا يعنى مزيداً من الخطر ، والضحايا ، ونزيف

دماء الأبرياء .

سأله المدير مرة ثالثة ، فى لهجة شديدة الحزم
والصرامة :

- فيم تفكر يا (أدهم) !؟

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يجيب :

- فى تدمير مصادر تمويل الشر .

ارتفع حاجبا المدير فى دهشة ، وهو يهتف :

- تدميرهم !؟ هل تدرك ما الذى يمكن أن يصيب

اقتصاد العالم ، لو دمرت هؤلاء العمالقة الأربعة

الكبار !؟ ستحدث حتما هزة اقتصادية عنيفة ، لا أحد

يدرى ما الذى يمكن أن تؤدى إليه !

قال (أدهم) فى صرامة :

- ستوقف خطر تلك السنيورا اللعينة على الأقل .

صمت المدير ، وهو يفكر فى الأمر بتوتر شديد ،

ثم لم يلبث أن قال :

- هذا الأمر يحتاج إلى الدراسة يا (ن - ١) .

أجابه (أدهم) فى حزم :

- بل يحتاج إلى السرعة والحسم يا سيدي .

غمغم المدير ، وهو يهز رأسه :

- ربما يا (ن - ١) .. ربما .. ولكن لا شيء يتم

هنا دون دراسة جيدة ، ودون اجتماعات ومشاورات .
قال (أدهم) فى هدوء عجيب :

- المهم أن تنتظر السنيورا ، حتى ننتهى من

اجتماعاتنا ومشاوراتنا يا سيدي .

رمقه المدير بنظرة عصبية ، قبل أن يسأله للمرة

الرابعة فى صرامة شديدة :

- فيم تفكر بالضبط يا (أدهم) !؟

تصاعدت مرارة شديدة إلى حلق (أدهم) ، وهو

يستعيد كل تفاصيل تلك المهمة القاسية العنيفة ،

ومشاهد دقائقها الأخيرة ..

سقوط (بترو) ..

وإصابة (جيهان) ..

ثم سرى فى رأسه سؤال واحد ..

ماذا لو نجحت فى مهمتها ، وأنتجت بالفعل قنابلها

الذرية !؟

ماذا لو !؟

وبنفس الهدوء العجيب ، ارتسمت على شفثيه

ابتسامة غامضة ، وهو يجيب :

- لا شيء يا سيدي .. لا شيء .

وعندما غادر مكتب مدير المخابرات ، كانت ابتسامته
الغامضة هذه تتسع ، وعيناه تتألقان معها في حزم
وتصميم وإصرار ، ليس لهم من مثيل ..

وتتألقان ..

وتتألقان ..

بلا حدود .

[تمت بحمد الله]





د. تبيل فاروق

**رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة**

117

ح
الثمان في منصر ٢٠٠
ومتابعه بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

عمالة الجبال

- كيف يواجهه (أدهم صبرى) ورفاقه
المقاتلات البرازيلية ، فى سماء (ريودى
جانيرو) ؟!
- ماهذا الفريق الأمريكى ، الذى اقتحم
الأحداث ، فى قلب (بوليفيا) ؟!
- ترى من ينتصر فى الجولة الأخيرة ..
السنيور ورجالها أم (عمالة الجبال) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك
وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



العدد القادم : الأربعة الكبار